الكوثرية الخالدة

في مدح أمير المؤمنين الإمام علي (ع)

للعلامة الجليل الاديب المبدع

السيد رضا الموسوي الهندي - رحمه الله -

4000 ج

شرح

عبد الله الشيخ عباس الخاقاني

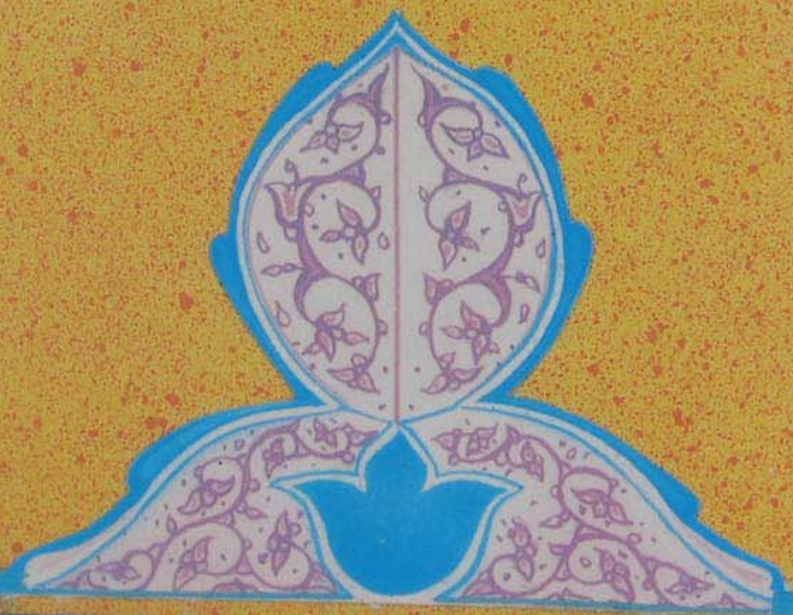

دار البيان العربي

www.haydarya.com

مكتبة الشيخ

الكوثرية الخالدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكوثرية الخالدة

في مدح أمير المؤمنين الإمام علي (ع)

للعلامة الجليل الاديب المبدع

السيد رضا الموسوي الهندي ـ رحمه الله

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٥٤١٤٧
التاريخ ١٨/ ٩/ ٢٠٠٨

شرح

عبد الله الشيخ عباس الخاقاني

دار البيان العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
العتبة العروة الوثقى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولىٰ ـ بيروت

١٤١٤ـ ١٩٩٤

دار البيان العربي

الـروبس ـ خلـف سنتر محفـوظ وحجـازي ـ بنـايـة محمـد الـزيـن
ت ٨٢٩١٤٢ ـ ٨/ ٧/ ٨٢٣٥٢٦ ـ ٨٢٣٠٨٩ ص. ب ٩٧/ ٢٥ و٥٧٨٩/ ١١٣ بيروت لبنان

النجف الأشرف

الإهداء

إلى طفلتي رُؤيا:

بابا..

حينما تكبرين وتُصبحين كالسُّنبلةْ،

لتكنْ أولىٰ الحروف التي تَتهجينها في حياتك هي:

أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ الله
وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله
وأشهدُ أنّ علياً وليُّ الله
وأنّ أبناءَهُ المعصومين بالحق حُجج الله

عند ذلك فقط، تستطيعين أنْ تناديني: «يا بابا»

وأردّ عليك: «يا حبيبتي»..

.. ومن أجل هذا أُهدي إليكِ ولكلّ المُتَيَّمين بحبّ الإمام عليّ عليه السلام هذا السفْر الخالد..

والدك: عبد الله

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد النبيين محمد وآله الطاهرين واللعن على أعدائهم اجمعين إلى قيام يوم الدين.

كثيرة هي القصائد التي تمتدح شخص الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام بل إن شخصية في التاريخ لم تتناولها أقلام الشعراء والأدباء كشخص الرسول وأهل بيته عليهم السلام بالمدح والوصف والتأمل، ولكن اشهر تلك القصائد قاطبة هي قصيدة العلامة الجليل المجتهد السيد رضا الهندي في مدح الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام والمعروفة (بالقصيدة الكوثرية)، ولكونها قصيدة مميزة عن غيرها في اسلوبها وطرحها وايقاعها وجدّتها في موضوعها، رأينا أن نعمد إلى طريقة جديدة في شرحها وعرضها وذلك بأن جعلنا للقصيدة مقدمة مختصرة لعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع وذلك لأننا تعرضنا في شرح الأبيات إلى مواطن الجمال البلاغية في كل بيت، وقد عرضنا كذلك لشرح ميسر لبعض معاني الكلمات التي رأينا شرحها باختصار لتوخي الفائدة، وكذلك عرضنا لشرح الابيات الشعرية وربط محاورها بعضها مع البعض الآخر بما يشكل معنىً كلياً للقصيدة.

إننا نتقدم للقراء بهذا الجهد المتواضع آملين الاستفادة منه لاسيما ونحن قد تعرضنا لجملة اشياء وفوائد كعرض الشواهد البلاغية لكل بيت

وعرض بعض الآيات والأحاديث والوقائع التاريخية التي تشير القصيدة اليها لكي نستوفي شرح ابيات القصيدة بشكل تام ومتكامل قدر المستطاع.

ولما كانت هذه القصيدة مما يكثر التغني بها وترديدها في الاحتفالات الدينية والمواليد الشريفة وفي الأعراس وغيرها من المناسبات الدينية والإجتماعية، فإننا احببنا أن نقدمها للقراء بهذهِ الحلة القشيبة من الترتيب والتبويب والاخراج الفني الجميل، لكي تقدم في المسابقات الدينية والاحتفالات الاجتماعية كهدايا جميلة مفيدة ينتفع بها القراء المتسابقون وغيرهم.

وإتماماً للفائدة فإننا ألحقنا بآخر الكتاب بعض الأبيات والمقطوعات الشعرية التي يكثر أنشادها في الاحتفالات والمواليد الدينية والاجتماعية من عيون شعر المديح لأهل البيت عليهم السلام . .

هذا ونسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل المتواضع منا باحسن قبوله، ويجعله ذخراً لنا يوم لا ينفع شيء من العمل سوى ما اقترن بموالاة أهل البيت عليهم السلام، لاسيما أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والله من وراء القصد.

دمشق السيدة زينب

عبد الله الخاقاني

١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م

الشاعر في سطور

اسمه ولقبه:ـ

هو العالم الكبير والأديب الشهير الشاعر السيد رضا بن العلامة السيد محمد بن هاشم بن مير شجاعت علي النقوي الهندي الشاهجان آبادي الرضوي الموسوي النجفي، يرجع نسبه الشريف إلى الإمام علي الهادي عليه السلام.

حياته:

ولد الشاعر المرحوم السيد رضا الهندي في مدينة الإمام عليّ عليه السلام في سنة «١٢٩٠» للهجرة المباركة، وتوفي سنة «١٣٦٢» للهجرة، وعاش فترة من حياته مع ابيه في سامراء حيث انتقل على أثر انتشار مرض الطاعون في النجف سنة (١٢٩٨)، وقد بقي الشاعر في سامراء مدة ثلاث عشرة سنة وبعدها عاد إلى النجف الأشرف مواصلاً درسه الحوزوي في الفقه والأصول اللغة والأدب والفلسفة وغيرها من المواضيع التي تدرس عادة في الحوزات العلمية، وقد تنقل السيد الشاعر بين أكثر من مكان تبعاً لظروفه واداءاً لمهامه

الدينية التبليغية، ولذا تراه ينتقل بين النجف الأشرف وبين الفيصلية وبين المشخاب التي توفي فيها الشاعر رحمه الله، ومضافاً إلى كل ما مضى من الاشارة اليه مما يدل على طول باع الرجل في ميدان العلم والمعرفة والأدب فإن المجتمع الذي عاشه لم يتوقف عند هذه الحدود بل تعدّاها إلى تبني موقف سياسي خطير وذلك في قضية (المشروطة والمستبدة) التي دعت الاولى منهما إلى الحكم المستبدّ وكان يمثلها آنذاك المرجع الديني الراحل السيد كاظم اليزدي في حين يمثل الآخرى التي كانت تهدف إلى الحكم الدستوري آية الله العظمى الشيخ كاظم الخراساني الملقب بالآخند صاحب (كفاية الأصول) وكان الشاعر ومعه كثيرون يقف في صف الشيخ الآخند في الدعوة إلى حكم مشروط بالدستور ضد الاستبداد الذي يحكم البلاد والعباد، ولعلّ هذا هو السبب الذي لا ترى من خلاله أي رثاء من قبل السيد الشاعر للسيد كاظم اليزدي، في حين تراه يرثي الشيخ الآخند بمرثيتين اثنتين، كما يفصح عن ذلك ديوانه المطبوع، وهذا بالتالي يدلّ على اهتمام الشاعر بقضايا عصره كما يثبت له موقفاً سياسياً واضحاً في مسألة طال فيها النزاع السياسي ـ الفقهي أو الفقهي ـ السياسي آنذاك، فضلاً عن مواقف اخرى نستفيدها من عموم سيرة حياته ومن شعره بالذات كذلك، مما يعطي صورة حية ونابضة لمسيرة هذا الشاعر العالم العملاق الذي أدى أكثر من دورٍ في حياته.

منزلته العلمية:

ولد الشاعر في اسرة علمية علوية عريقة، فقد كان أبوه العلامة السيد محمد الهندي في عداد الفقهاء المجتهدين الذين كان لهم باع طويل في مجال الدراسات الدينية لاسيما العقلية منها فضلاً عن الفقهية التي كان بارعاً مجتهداً فيها، ولقد كانت له دراسات عدة في مجال الأدب كذلك، مما مهد

السبيل أمام الابن الناشىء لأَنْ يتسلق سلّم المعرفة والفكر والادب وتبزغ شموسه في فضاءاتها ويصبح من شعراء الامة المعدودين، ولقد اسهمت مدينة النجف الاشرف التي ولد ونشأ فيها الشاعر في تكوين وصقل مواهبه العلمية، فأتقن درس العلوم الدينية وما يتصل بها واهتم اهتماماً كبيراً بعلوم اللغة العربية التي حرص الشاعر على اتقانها والابداع فيها، فكان أديباً بارعاً وشاعراً مفلقاً ولا أدل على بلاغته الأدبية من قصيدته الكوثرية التي سنأتي على ذكرها تفصيلاً، ولما كان السيد مجداً ومجتهداً فقد نال اعلى مراتب الكمال العلمي وهو مرتبة الاجتهاد، وقد شهد له بذلك جملة من علماء النجف الأشرف لاسيما المرجع الديني العظيم السيد أبو الحسن الاصفهاني رحمه الله وكذلك الشيخ محمد الشرابياني والشيخ اسد الله الزنجاني، وغيرهم من العلماء الاعلام في عصره.

وقد تتلمذ السيد الشاعر على عظماء علماء عصره كالشيخ محمد طه نجف والمجاهد الشيخ ملا كاظم الخراساني صاحب كتاب كفاية الاصول وكذلك درس على يد الشيخ حسن نجل الشيخ محمد حسن الجواهري صاحب الموسوعة الفقهية العظيمة المعروفة باسم (جواهر الكلام) فضلاً عن دراسته على يد والده السيد محمد الهندي، وغير هؤلاء كثير..

وفضلاً عن جميع ما تقدم فقد كان السيد رضا الهندي ذا معرفة بما يسمى بالعلوم الغريبة والحساب وهو ما لم يكن لكل أحد معرفته فضلاً عن الاشتهار به..

ومن جملة ما تقدم من تنوع مشارب تحصيله العلمي فقد ألّف الشاعر في مجالات علمية وادبية متعددة، ولعل كتابه: (الميزان العادل بين الحق والباطل) هو الأكثر شهرة، نظراً لأنه كان يدرس في مدارس العراق حتى سيطرة الانكليز الذين منعوا من نشره لكونه كتاباًعقائدياً يرد على أهل الكتاب

فيه بحجج دامغة.

شاعريته:

الحديث عن شاعرية الشاعر السيد رضا الهندي يرتبط عادة بالحياة الثقافية التي عاشها الشاعر في بيئة النجف من جهة وبيئة العراق والعالم العربي والاسلامي من جهة ثانية، إذ أن الشاعر أي شاعر هو ابن بيئته، ولذا تراه لا يحيد عما ألفه في بيئته من طرائق النظم وموضوعات الكتابة، ونحن نستطيع أن نصنفه في صف شعراء النصف الأول من القرن العشرين الميلادي أو شعراء القرن الرابع عشر الهجري، وكلا الأمرين يعطينا تصوراً أولياً عن طبيعة الحياة الثقافية العامة في العراق والنجف بالذات، إذ كانت هذه الفترة تمثل امتداداً طبيعياً لموروث القرون المتأخرة شعرياً وثقافياً بسبب التأخر العام في جميع مجالات الحياة على الأغلب باستثناء الدراسات الاصولية والفقهية التي يمتاز بها مذهب أهل البيت عليهم السلام، والموروث الثقافي الكبير للعصور المتأخرة يشكل سمات عامة لنتاج جيل تلك القرون شعرياً وادبياً، فنحن نستطيع تشخيص وانماء هذه القصائد الأدبية منذ الوهلة الأولى إلى هذهِ الفترة الزمنية لوجود خصائص مشتركة اسلوبية وفنية في مجمل نتاجات الأدباء آنذاك، فضلاً عن الخصائص الفنية والاسلوبية من الوقوف على الديار والدمن والاطلال إلى تكرار الصياغات والتراكيب المتكررة الى استعمال المحسنات البلاغية والبديعية من الترصيع والمقابلة والجناس والطباق وغيرها التى تشكل ظاهرة واضحة لشعر تلك الفترة من تاريخ الأدب والشعر العربي، ولذا نرى مثلاً الشاعر السيد رضا الهندي جرياً على عادة شعراء عصره والعصور التي سبقته يعمد إلى ترسيخ الكثير من تلك الظواهر الشعرية والتوفر على خصائصهاالفنية والاسلوبية، بل انه يتمثل المواضيع الشعرية السائدة في عصره نفسها، كالمدح والرثاء والاخوانيات إلى غير، ذلك ولكن

ما يميز الشاعر المترجم له عن الكثيرين من أقرانه هو شاعريته المحضة التي انتجت الأبيات والمقطوعات والقصائد الشعرية التي عُدَّت من عيون الشعر العربي وفي مواضيع عديدة، فبرغم أنه يتناول موضوع رثاء الحسين عليه السلام مثلاً واصحابه، فإنه رحمه الله يعمد إلى طرح هذه القضية لا بشكل تأريخي أو بكائي تقليدي بل إننا نلاحظه يعيش شعرياً مع هذا الموقف الخالد بشكل عاطفي أخّاذ حينما تدخل ذاته طرفاً فاعلاً ومتفاعلاً مع الذكرى والحادث المؤلم لمصرع الحسين وأصحابه عليهم السلام كما في قوله مثلاً:

كيف تهنيني الحياة وقلبي ... بعد قتلى الطفوف دامي الجراح
بأبي من شرَوْا لقاء حسين ... بفراق النفوس والارواح
وقفوا يدرؤن سمر العوالي ... عنه والنبل وقفة الأشياح
فوقَوْه بيض الظبى بالنحور الـ ... ـبيض والنبل بالوجوه الصباحِ

إلى آخر القصيدة..

وكذلك نراه في الحالة الانفعالية، فانه حينما نجده يتألم حسرة وأسىً على قبور البقيع المطهرة ينشد صادقاً:

أعزّ اصطباري وأجرى دموعي ... وقوفي ضحىً في بقاع البقيع
وقفت على رسمهم والدموع ... تسيل ونار الجوى في الضلوع
وكان من الحزم حبس الدموع ... لو أن هنالك صبري مطيعي
وهل يملك الصبر من مقلتاه ... ترى مهبط الوحي غافي الربوع
وقيّمه يمنع الزائرين ... من لثم ذاك المقام المنيع
وهذا مقام يذم الصبور ... عليه ويحمد حال الجزوع

إلى غير ذلك..

ومن القصائد الفريدة، قصيدته التي يذكر بها الموت وما يجري على

الانسان، وتراه هنا يركز الحديث عن ذاته التي تتحسس أدقّ تفاصيل الموت بدءاً من نهاية حياة الإنسان وانتهاءاً بالحساب والعقاب من منكر ونكير. وغير ذلك في تصوير فنيّ رائع عظيم يجعل تتحسس آلام الموت وترقب ما يجري فيه من المخاوف والانقطاع عن الدنيا واللذة والأمل والوقوف بين يدي أعمال الانسان، حيث هناك لا ينفع إلا رحمة الله تعالى وولاية رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وذلك إذ يقول:

أرى عمري مؤذناً بالذهاب ... تمرّ ليالية مرّ السحاب
وتفجعني بيضُ أيامه ... فتسلخ مني سواد الشباب
فمن لي إذا حان مني الحمام ... ولمْ أستطع منه دفعاً لما بي
ومن لي إذا قلبتني الأكف ... وجرّدني غاسلي من ثيابي
ومن لي إذا صرت فوق السرير ... وشيل سريري فوق الرقاب
ومن لي إذا ما هجرت الديار ... وعوّضتُ عنها بدار الخراب
ومَنْ لي إذا آب أهل الوداد ... عني وقد يئسوا من إيابي
ومَنْ لي إذا منكر، جدَّ في ... سؤالي فأذهلني عن جوابي
ومن لي إذا امتازت الفرقتان ... أهل النعيم وأهل العذاب
وكيف يعاملني ذو الجلال ... فأعرف كيف يكون انقلابي
أباللطف وهو الغفور الرحيم ... أم العدل وهو شديد العقاب

إلى آخر هذه الأبيات الشاعرة.

هذا ما يتعلق بالرثاء والموت، ولكن الشاعر من جانب آخر يطالعنا بوجه آخر مناقضٍ لهذا الاحساس العميق بالمأساة والألم والخشوع، وهو وجه الغزل وعالم الحبّ الذين يحلّقُ الشاعر فيهما مبدعاً وبليغاً:

غزا مهجتي بصفاح اللحاظ ... ولوع بظلمي لا يصفح

ولـــم أرَ مـــن قبـــل اجفـــانـــه جنـــوداً إذا انكســـرت تفتـــح

إلى غير ذلك.

ولا أدل على ابداعه وتفننه بطرق التعبير واساليب النظم والانشاء من قصيدته الكوثرية التي سنأتي على ذكرها.

القصيدة الكوثرية

وهي من أروع وأشهر ما قيل في مدح الإمام عليّ عليه السلام وسبب شهرتها على ما يبدو هو مدى الابداع الفني الاسلوبي الذي يبدو واضحاً على قسمات القصيدة.

والقصيدة الكوثرية التي نظمها الشاعر السيد رضا الهندي سمّيت بالكوثرية نظراً لما جاء في البيت الثاني منها وهو قوله:

قد قال لثغرك صانعه (إنا اعطيناك الكوثر)

فمن هنا جاءت تسميتها بالكوثرية أي نسبةً إلى الكوثر.

ولعل هذه التسمية هي أجمل تسمية لأية قصيدة على الاطلاق.

والقصيدة الكوثرية تبدأ أولاً بمدح الرسول صلى الله عليه وآله ومن ثمَّ تنتهي إلى الغرض الأساس فيها وهو مدح أمير المؤمنين عليه السلام باسلوب شيّق جميل أخّاذ تستطيع أن ترصد خطوطه العامة بجملة الخصائص الفنية التي توفرت عليها القصيدة وأولها الوزن الراقص السهل الذي ما عهدناه في قصائد مدح الرسول وأهل البيت عليهم السلام بل قل بلا تحفظ جميع قصائد المديح على

الاطلاق حسب تتبعنا ومراجعاتنا، وهذا ما اعطى القصيدة ميزة على ما سواها من القصائد الأخرى والبحر الذي اعتمده الشاعر لقصيدته هو (بحر الخبب) ويسمى المتدارك أيضاً وسمي بالخبب (والمتدارك) نظراً لسرعة ايقاعه وتتابع مقاطعه الصوتية الذي يشبه الخبب وهو نوع من العَدْو، أو الدراك الذي يعني المتابعة ووزنه العروضي:

فَعْلُـــن فَعْلُـــنْ فعْلـــنْ فعْلُـــنْ فَعْلُـــن فَعْلُـــن فَعْلُـــن فَعْلُـــنْ

أي أن وحدة التفعيلة (فعْلُن) تتكرر في كل شطر اربع مرات وهي بنظام الحركة والسكون: (متحرك، ساكن، متحرك، ساكن) ويمكن أن نكتبها عروضياً هكذا: (/ ٠/٠)، وهذا يدل على ايقاع سريع منسجم متفاعل راقص يصلح للغزل والمداعبة والاغراض اللطيفة وما إليها، ولكن الشاعر نظراً لخفته في تغنِّيه بأجمل ما يحب ويهوى وربما لفرحه بموالات أهل البيت عليهم السلام ارتقى ليس معنوياً فحسب بل ايقاعياً كذلك إلى مستوى الطرب والخفة والرهافة اعتقاداً منه بنيل الجنان والخلاص من عذاب الآخرة واهوالها بفضل مولاة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام لاسيما مولاة ساقي الكوثر وإمام الانس والجنة وقسيم الجنة والنار أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

***

يبدأ الشاعر السيد رضا الهندي رحمه الله قصيدته الكوثرية بمدح مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله معدداً بعضاً من صفاته الجمالية في ثغره الشريف وطلعته البهية المباركة إلى غير ذلك مستعملاً لذلك مضافاً إلى وزن الخبب الذي اشرنا اليه استعارات وتشبيهات بليغة فضلاً عن المحسنات البديعية من الجناس والطباق والمقابلة بما سنشير إليه في شرحنا لكل بيت على حدة وذلك كقوله:

أمفلّـــج ثغـــرك أم جـــوهـــر ورحيـــق رضـــابـــك أم سكـــرْ
قـــد فـــال لثغـــرك صـــانعـــه إنـــا اعطينـــاك الكـــوثـــرْ
والخـــال بخـــدك أم مســـك نقطـــت بـــه الـــورد الاحمـــر
أم ذاك الخـــال بـــذاك الخـــدّ فتيـــت النـــدّ علـــى مجمـــر
عجبـــاً مـــن جمـــرتـــه تـــذكـــو وبهـــا لا يحتـــرق العنبـــر
يـــا مـــن تبـــدو لـــي وفـــرتـــه فـــي صبـــح محيـــاه الازهـــرْ

إلى غير ذلك مما سنلاحظه في القصيدة.

ومن ثمَّ يستمر متغزلاً مشبباً نظراً لعظيم جمال محبوبه وهو شخص الرسول الكريم(ص) وينتقل إلى ذكرا الرشأ الذي اعتاد الشعراء على تشبيه الجميل به وذلك في قوله مستغيثاً بالعشاق لانهم هم اكثر الناس تفهماً لحاله ومعاناته ودنفه:

يـــا للعشـــاق لمفتـــونِ بهـــوى رشـــاءٍ أحـــوى أحَـــوَرْ
آمنـــت هـــوى بنبـــوّتـــه وبعينيـــه سحـــر يـــؤثـــر

ويبدأ بشرح معاناته،مع من يحبّ على عادة الشعراء الذين يشكون من صدود من يحبون ويعشقون، لما يلاقونه من الم ومعاناة نفسية وعاطفية بسبب هذا الصدود والهجران:

أصفيـــتُ الـــودّ لـــذي مَلَـــلٍ عيشـــي بقطيعتـــه كـــدَّرْ
يـــا مَـــنْ قـــد آثـــر هجـــرانـــي وعَلَـــيّ بلقيـــاه استـــأثـــر

وهكذا يبدأ بالتوسل بالمحبوب لأن ينهي معاناته ويتلطف عليه بالوصل والمودّة:

أقسمـــت عليـــك بمـــا اولتـــك النظـــرة مـــن حســـن المنظـــر
وبـــوجهـــك إذ يحمـــرّ حَيـــاً وبـــوجـــه محبّـــك إذ يصفـــر

وبلـــؤلـــؤ مبسمـــك المنظـــوم ولـــؤلـــؤ دمعـــي إذ ينثـــر
ان تتـــرك هـــذا الهجـــر فليـــس يليـــق بمثلـــي أن يهجـــرْ

وهكذا يبدأ الشاعر مرحلة جديدة من التعبير وكأنه شعر باستجابة محبوبه له فبدأ بالدعوة إلى اللهو والغناء والكأس والانطلاق في ربوع الحياة المزهرة متفائلاً مندمجاً مع الحياة، والحياة فقط:

فـــاجـــل الاقـــداح بصـــرف الـــراح عســـى الافـــراح بهـــا تنشـــر
واشغـــل يمنـــاك بصـــبِّ الكـــاس وخـــلّ يســـارك للمـــزهـــرْ
فـــدم العنقـــود ولحـــن العـــود يعيـــد الخيـــر وينفـــي الشـــر
بكـــر للهـــو ونيـــل الصفـــو فصفـــو العيـــش لمـــن بكّـــرْ
وانظـــر للـــزهـــر بشـــط النهـــر فـــوجـــه الـــدهـــر بـــه أزهـــر

ولا يدعو لهذا فحسب، بل نراه يقرّ على المنكر الذي فعله ولكنه لا يخاف من العقاب الإلهي له رغم أنه سوّد صحيفة اعماله بما اقترف من المنكرات والقبائح:

ســـوّدت صحيفـــة أعمـــالـــي ووكلـــت الأمـــر إلـــى حيـــدر

وبعد هذا ينطلق الشاعر محلّقاً في عالم فضائل مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ذكراً لجملة من فضائله ومناقبه الأخلاقية والدينية والحربية، بل يجعل كل ما في الناس من فضل ومعروف هو منتسب إليه لا محالة:

هـــو كهفـــي مـــن نـــوب الـــدنيـــا وشفيعـــي فـــي يـــوم المحشـــر
قـــد تمـــت لـــي بـــولايتـــه نعـــم جمَّـــت عـــن أن تشكـــرْ
لأصيـــب بهـــا الحـــظ الأوفـــى وأخصـــص بـــالسهـــم الأوفـــر
بـــالحفـــظ مـــن النـــار الكبـــرى والامـــن مـــن الفـــزع الأكبـــر

إلى أن يقول:

من غيرك من يدعى للحرب وللمحراب وللمنبرْ
أفعال الخير إذا انتشرت في الناس فانت لها مصدرْ
وإذا ذكر المعروف فما لسواك به شيءٌ يُذكر

وهكذا يتعرض الى بعض ما جرى على الإمام عليه السلام من أمر الخلافة وغيرها:

لولم تؤمر بالصبر وكظم الغيظ وليتك لم تؤمرْ
ما نال الأمر أخو تيمٍ وتناوله عنه حبترْ

وهكذا حتىٰ ينهي قصيدته بطلبه من الإمام عليه السلام أن يتقبل منه هذا المدح:

فاقبل يا كعبة آمالي من هَذي مديحي ما آستيسر

وسوف نأتي على شرح ابيات القصيدة مفصلاً كلّ بيت على حدة.

مختصر فنون البلاغة

تُعرّف البلاغةُ بأنّها مطابقة الكلام لمُقتَضى الحال مع فصاحته.

وتقسم البلاغة إلى علوم ثلاثة على الأغلب وهي:

١ ـ علم المعاني.

٢ ـ علم البيان.

٣ ـ علم البديع.

ولغرض إختصار وتبسيط هذهِ العلوم الثلاثة سنتكلم عن كل علم على حدة.

١ ـ علم المعاني..

يعرف علم المعاني بأنه: علم يُعرَفُ به أحوال اللفظ العربيّ التي بها يطابق مقتضى الحال.

وتنحصرُ بحوث علم المعاني في عشرة أبواب:

١ ـ أحوال الإسناد الخبري.

٢ ـ أحوال المسند اليه .

٣ ـ أحوال المسند .

٤ ـ أحوال متعلقات الفعل .

٥ ـ القصر .

٦ ـ الإنشاء .

٧ ـ الفصْل والوصل .

٨ ـ الإيجاز .

٩ ـ والاطناب .

١٠ ـ والمساواة .

١ ـ أحوال الاسناد الخبري . .

ذهب الأغلب إلى أن الخبر ينحصر في الصادق والكاذب وإلا فالكلام ليس خبراً بل إنشاءٌ. بمعنى أن الجملة تكون خبراً إذا احتملت التصديق أو التكذيب فإن جملة: محمدٌ قادمٌ، يحتمل أن يكون المخبر إما صادقاً وإما كاذباً ولذا فهي خبر، أما جملة: ليتَ محمداً قادم، فإنها لا تحتمل صدقاً ولا كذباً بل هي من التمني والتمني إنشاء .

والخبر حينما يلقى فإنما يكون لأمرين لا ثالث لهما، الأول: أن يخبر المخاطب الإنسان الذي لا يعلم بالحكم فيسمى (فائدة الخبر)، كما تقول لمن يجهل أنك نجحت في الإمتحان، ، أنا نجحتُ في الإمتحان. وأما أن تخبر المخاطب بأمرٍ تريد أن تعلمه أنّك على علم به وهو قد أخفاه عنك مثلاً، كما تقول لمن أخفى عليك سفره إلى أوروبا فتقول له: أنتَ سافرت إلى أوروبا، ويسمى (لازم الفائدة) .

وقد يخرج الخبر عن الفرضين السابقين وهما (فائدة الخبر) و(لازم

الفائدة) إلى أغراض أخرى مثل:

١ ـ الفخر، نحو قوله: إن الله اصطفاني من قريش.

٢ ـ المدح، كقول الشاعر:

تعـوّد بسـط الكـف حتـى لـو أنـه ثنـاهـا لقبـض لـم تطعـه أنـاملُـهُ

٣ ـ التوبيخ، كقولك للعاثر: «الشارع مبلط».

٤ ـ والتحذير، مثل: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق».

٥ ـ وإظهار الضعف والخشوع، كقوله تعالى حكاية عن زكريا: ﴿**ربّ إني وهن العظم منّي**﴾ سورة مريم، الآية(٤).

٦ ـ الاسترحام والاستعطاف، مثل: إني فقير إلى رحمة ربي.

وهناك أغراض أخرى تُعرف بسياق وقرائن الحال.

٢ ـ أحوال المسند إليه:

المسند إليه يقصد به المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل واسماء النواسخ.

أما أحواله فهي: الذكر والحذف والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير وغيرها، والمسند إليه يذكر في الجملة وجوباً لأسباب مثل:

١ ـ زيادة التقرير والإيضاح للسامع كقوله تعالى: ﴿**أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾ سورة لقمان الآية(٥).

٢ ـ عدم وضوح القرينة كما تقول: عليّ نعم الإمام، فلا يدري السامع من هو أهو الإمام علي أم زين العابدين أم الرضا أم الهادي عليهم السلام لخلو الكلام من القرينة فتقول علي الرضا نعم الامام.

٣ ـ الرد على المخاطب كما تقول: لمن يقول: حضر طالبان فتقول:

حضر طالب.

٤ ـ التلذذ، كما تقول دائماً: الله ربُّنا، الله ثقتي.

٥ ـ التعجب، إذا كان الحكم غريباً عادة نحو: عليٌّ يصرع الأسد! في جواب: هل يصرع عليٌّ الأسد؟

٦ ـ التعظيم: إذا كان اللفظ يفيد ذلك، يقال في جواب حضر الملك؟ حضر سيف الدولة.

٧ ـ الإهانة.. كما تقول في جواب: هل حضر فلان؟ حضر المجرم... وهكذا.

وقد يحذف المسند إليه لوجود قرينة دالة عليه على سبيل الإختصار والإختصار والإحتراز. والمسند إليه يكون حقه التعريف لا التنكير بسبب أنه هو المحكوم عليه في الجملة ولذا ينبغي أن يكون معلوماً ليكون الحكم مُفيداً، ويعرف المسند اليه.

١ ـ بالاضمار (أي الضمير)

٢ ـ بالعلمية.

٣ ـ بالإشارة.

٤ ـ بالموصولية.

٥ ـ بـ: أَلْ.

٦ ـ بالاضافة.

٧ ـ بالنداء.

ولكل من هذه البقية أغراض تفيدها، أساسية وأغراض أخرى تخرج إليها وتفهم بالقرائن وواقع الحال. على ما (نشير) إلى بعضها في طيات

الشواهد البلاغية.

ومع ذلك قد يؤتى بالمسند إليه نكرة، وذلك لعدم علمَ المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقةً، وكذلك لأغراض أخرى مثل: التكثير والتقليل والتعظيم والتحقير وإخفاء الأمر، وغير ذلك.

أما بالنسبة إلى مرتبته فهي التقديم، لأنه هو المحكوم عليه، فهو الذي يخطر في الذهن أولاً لذلك. ومن دواعي تقديمه؛ التلذذ مثل: (ليلى جميلة النساء)، التبرك باسم الله مثلاً «الله ربي» ومنها تعجيل المسرة مثل: (النجاح في الامتحان حليفك)، وكإفادة التخصيص، وكمراعاة الترتيب الوجودي وغير ذلك من الأغراض. وقد يتأخر المسند إليه وذلك فيما إذا اقتضى الأمر تقديم المسند وسيأتي الحديث عنه.

٣ ـ المسند:ـ

المسند هو الخبر والفعل التام واسم الفعل والمبتدأ والوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر وأخبار النواسخ والمصدر النائب عن الفعل.

أما حواله فهي: الذِكر، الحذف، التقديم، التأخير، التنكير، التعريف، وغيرها.

ـ يذكر المسند في الجملة للأغراض التي ذكرت في ذكر المسند إليه.

وكذلك الأمر في حذفه فإنه يحذف كما يحذف المسند إليه.

ـ ولتقديم المسند دواعٍ في الجمل وأسباب عديدة منها:

ما إذا كان له الصدارة في الكلام أوْ أن يكون عاملاً مثل:ـ (أين الكتاب) للأول و(نام أحمد) للثاني، وهناك أسباب أخرى منها:

١ ـ التخصيص بالمسند إليه كقوله تعالى: ﴿**ولِلَّهِ ملك السموات**

والأرض﴾ سورة المائدة الأية(١٧).

٢ ـ التشويق للمتأخر مثل ﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب**﴾ سورة آل عمران، الآية(١٩٠).

٣ ـ قصر المسند إليه عن المسند مثل ﴿**لكم دينكُم ولي دين**﴾ سورة الكافرون، الآية(٦).

وهناك اغراض أخرى كالتعجب والتعظيم والمدح والذمّ والترحم والدعاء وغيرها، اما تأخيره فهو الأصل لأن التقديم في الاصل للمسند إليه.

ويقع المسند مفرداً تارةً وهو إما أن يكون فعلاً أو إسماً، وإما أن يقع جملةً تارة أخرى.

٤ ـ متعلقات الفعل :ـ

للفعل متعلقات كثيرة منها: المفعول، الحال، الظرف، الجار والمجرور، وهذه المتعلقات تكون عادةً أقلّ أهمية من ركني الجملة ولكن قد تتقدم في بعض الجمل لأغراض فمثلاً من حق المفعول أن يؤخر عن الفعل لكن قد يتقدم لأغراض كالتخصيص مثل ﴿**إياك نعبُد**﴾ سورة الحمد، الآية(٦) أو التلذذ مثل: (السمك أكلتُ) والتبرك: (قرآناً عظيماً قرأت) وغير ذلك. وهكذا قد يتقدم كل من الحال والظرف والجار والمجرور لأغراضٍ منها:

تخصيصها بالفعل، مراعاة الفاصلة أو الوزن، كونها موضع الإنكار. أما تقديم الفضلات من الجار والمجرور والحال وغيرها بعضها على بعض فهي لأسباب:

١ ـ للأصالة في التقدم لفظاً: رأيت الهلال طالعاً، فالهلال وإن كان

هنا مفعولاً ولكنه في الأصل مبتدأ تقدم على (طالعاً).

أو للأصالة معنىً: مثل: أعطى الأمير الوزير جائزة، فالوزير وإن كان مفعولاً بالنسبة للأمير إلا أنه فاعل بالمعنى بالنسبة للجائزة.

٢ ـ للإخلال في تأخيره مثل: مررت راكباً بزيد، فلو أخرت (راكباً) لظُنّ أن حال زيد هي الركوب لا أنا.

٥ ـ القصر:ـ

القصر لغةً هو الحبس واصطلاحاً هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. وفي القصر زمانان هما المقصور والمقصور عليه.

وللقصر طرق كثيرة منها:

١ ـ القصر بالنفي والاستثناء ـكقوله تعالى: ﴿**وما محمد إلا رسول**﴾ سورة آل عمران، الآية(١٤٤).

١ ـ القصر بإنما كقوله تعالى: ﴿**إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء**﴾ سورة فاطر، الآية(٢٨).

٣ ـ القصر بـ(لا) و (لكن) مثل:

عمر الفتى ذكره لا طول مدّته ... وموته خزيه لا يومه الثاني.

٤ ـ ويكون كذلك القصر بتقديم ما حقّه التأخير كقوله تعالى: ﴿**إيّاك نعبدُ**﴾ سورة الفاتحة، الآية(٥). فالمقصور عليه في الكلمة الأولى هو (رسول)، وفي الثانية (يخشى الله)، وفي الثالثة (ذكره) ومع (بل) و(لكن) المذكور بعدهما نحو: ما الفخر بالبنين بلْ بالأدب. ونحو: ما الفخر بالجمال لكن بالكمال. وفي الآية الأخيرة (إياك).

فالغاية كما ترى من الجمل السابقة في تقرير وتمكين الكلام في الذهن.

٦ ـ الإنشاء:ـ

الإنشاء: ١ ـ هو الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً بخلاف الخبر.

والإنشاء نوعان: إنشاء طلبي وإنشاء غير طلبي.

١ ـ الإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ويكون بصيغ المدح والذم والقسم والتعجب وصيغ العقود والرجاء. والإنشاء غير الطلبي لا يبحث عند علماء البلاغة لأن صيغه في الأصل أخبار نقلت للإنشاء.

٢ ـ الإنشاء الطلبي: هو الذي يبحث عادة في علم المعاني وأنواعه خمسة: الأمر والنهي والنداء والاستفهام والتمني.

وقد عرضنا في شواهد الأبيات البلاغية إلى بعض تفصيلاتها

٧ ـ الفصل والوصل:

الوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف. فالوصل مثل قوله تعالى في آية التطهير ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾سورة الأحزاب، الآية(٣٣).

فقد عطف جملة (يطهركم) على جملة (ليذهب) بحرف العطف الواو.

ومثل الفصل قوله تعالى: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي**

هي أحسن﴾ سورة فصلت، الآية(٣٤).

فإنه فصل بين جملة (تستوي) وجملة (إدفع). وقد فصلت مواضع الفصل والوصل في شرح شواهد الأبيات.

الايجار والإطناب والمساواة:

الكلام من حيث اللفظ والمعنى يقع في ثلاثة أشكال لا رابع لها.

فهو إما أن تكون المعاني بعدد الألفاظ ومساوية لها بلا زيادة أو نقصان وهو ما يسمى بالمساواة.

وثانياً: إذا زاد اللفظ على المعنى لفائدة ما، فهذا هو الإطناب.

ثالثاً: إذا كان اللفظ أقلّ من المعنى، وهذا هو الإيجاز.

٨ ـ الإيجاز

الإيجاز: في البلاغة على قسمين هما:

١ ـ إيجاز القصر.

٢ ـ إيجاز الحذف.

١ ـ إيجاز القصر، ويسمى بإيجاز البلاغة وهو أنْ تُضَمَّنَ المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة كما في قوله تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾ سورة البقرة، الآية(١٧٩).

والقسم الثاني هو إيجاز الحذف: ويكون بحذف شيء من الجملة لا يخلّ بالمقصود لوجود ما يدلّ على المحذوف. وقد يكون المحذوف حرفاً كما في قوله تعالى: ﴿**ولم أك بغِيًّا**﴾ سورة مريم، الآية(٢٠) أي: لم اكن، وقد يكون إسماً مضافاً كما في قوله تعالى: ﴿**وجاهدوا في الله حقّ جهاده**﴾

سورة الحجر، الآية(٧٨) أي في سبيل الله، أو مضافاً إليه كقوله تعالى: ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر**﴾ سورة الأعراف، الآية(١٤٢). أي بعشر ليال. أو جملة كقوله تعالى: ﴿**كان الناس أمةً واحدة فبعث الله النبيين**﴾ سورة البقرة، الآية(٢١٣). أي فاختلفوا فبعث الله. وقد يكون مسنداً إليه أو مسنداً أو شرطاً أو جواب شرط أو متعلقاً. والايجاز يفيد فوائد عدة منها الاختصار ومنها تسهيل الحفظ ومنها تركيز المعنى وغير ذلك.

٩ ـ الإطناب:

وهو زيادة اللفظ على المعنى المؤدى في الجملة كما في قوله تعالى: ﴿**ربّ إني وهن العظم منيّ واشتعل الرأس شيباً**﴾ سورة مريم، الآية(٤). أي كبرتُ، غير أن الفرق واضح بين الجملتين لمن تأملهما وكان له ذوق وفطنة، فإن الآية أفادت إفادات لم يكن للجملة الثانية أن تفيدها مطلقاً، وهذه الإفادات وغيرها كثيرة نذكر منها.. تثبيت المعنى وتوضيح المراد والتوكيد ودفع الابهام وغير ذلك، ومنها طول الفصل ولئلا يجيء الكلام مبتوراً مقطوعاً فيَعُمد إلى تكرار اللفظ كما في الآية الشريفة: ﴿**يا أبتِ إني رأيت احد عشر كوكباً والشمسَ والقمر رأتيهم لي ساجدين**﴾ سورة يوسف، الآية(٤). فقد كرر (رأيت) لطول الفصل وكذا يكرر الكلام أحياناً لغرض الاستيعاب كما تقول: قرأت المجلة صفحة صفحة. ومن أسباب الاطناب وفوائده كذلك هو الايضاح بعد الابهام كقوله تعالى: ﴿**وقضينا إليه ذلك الأمر أنَّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين**﴾ سورة الحجر، الآية(٦٦). فقد أفاد هنا توضيح الأمر. وكذلك من فوائد الإطناب ذكر الخاص بعد العام، وكذلك الإعتراض وهو أنْ تحلَّ جملة بين جملتين، معترضة لا محل لها من الإعراب كما نشير إليه في الشواهد البلاغية للقصيدة. وهكذا.

١٠ ـ المساواة:

هي تأدية المعنى بعبارة مساوية له، أي بلا إيجاز أو اطناب وهو الأصل في الكلام كقوله تعالى: ﴿من كفر فعليه كفره﴾ سورة الروم، الآية(٤٤) و﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ ففي الآيتين جاءت الألفاظ على قدر المعاني بلا زيادة ولا نقصان..

٢ ـ علم البيان

البيان لغة هو الكشف والظهور والإيضاح.

واصطلاحاً ـ هو قواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة عليه.

وبناء على هذا التعريف فإنه يبحث في هذا العلم عن أمور كثيرة هي:

١٠ ـ التشبيه.

٢ ـ الحقيقة والمجاز.

٣ ـ الكناية:

على أن في كل عنوان من هذه العناوين الثلاثة أقساماً ووجوهاً وشعباً يبحثُ عنها على ما سنذكر جملة منها.

١ ـ التشبيه:

التشبيه: هو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر لغرضٍ يريده المتكلم.

أما أركان التشبيه فهي أربعة كما في قولك: (هندٌ كالبدر في جمالها) وهذان الاثنان يسميان بطرفي التشبيه.

فالركن الأول: هو المشبه وهو: هند.

والثاني: المشبّه به وهو: البدر.

والثالث: أداة التشبيه وهي: الكاف.

والرابع: وجه الشبه وهو: الجمال (في جمالها).

ـ أما أدوات التشبيه فبعضها أسماء مثل (شبه، مثل)، وبعضها أفعال مثل (يشبه، يحكي، يضارع) وبعضها حروف مثل (الكاف، كأن)، وقد تذكر أداة التشبيه... فيسمى التشبيه المرسل كما في المثال الأول: هند كالقمر في جمالها، وقد تحذف الأداة ويسمى:

١ ـ التشبيه «المؤكد» كما لو حذفت الكاف من المثال السابق: هند قمرٌ ولا شك أن المؤكد يكون أبلغ من المرسل.

٢ ـ أما إذا حذف وجه التشبيه والأداة معاً فيسمى **بالتشبيه «البليغ»** كما لو قلت (هند قمر) وهو بلا شك يكون أكثر رقياً وأرفع بلاغة من الأشكال السابقة لأنه يوهم أن هنداً هي قمرٌ بالفعل لا بالتشبيه، فلا داعي لذكر وجه الشبه لأنه معلوم..

٣ ـ أما «التشبيه الضمني»: فهو تشبيه لا يوضع المشبه والمشبه به كما في صور التشبيه المعروفة، بل يشارُ إليه ويفهم في السياق على هيئة البرهان لإمكان ما أسند إلى المشبه كقول المتنبي.

فإنْ تفق الانام وأنت منهم ... فإنَّ المسك بعض دم الغزالِ

وقد وضمن هذا في شرح الشواهد الشعرية.

٤ ـ وهناك ما يسمى «بالتشبيه المقلوب» وذلك بأن يجعل المشبه مشبهاً به مبالغة في المشبه مثلاً: هند كالقمر جمالاً.

فإنك لو أردت المبالغة في جمال هند قلت «القمرُ كهندٍ جمالاً» ومثل ذلك قول الشاعر مادحاً:

وبـــدا الصبـــاح كـــان غـــرّتـــه وجـــه الخليفـــة حيـــن يمتـــدحُ

فهو شبه الصباح بوجه الخليفة، والحال أنه يجب تشبيه الخليفة بالصبح، ولكنه أراد المبالغة في المدح فغلب التشبيه.

٥ ـ تشبيه «التمثيل»: وهو التشبيه الذي وجهه وصف منتزعٌ من أمور عدة. وهو كقوله تعالى: ﴿**مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون**﴾ سورة البقرة، الآية: ١٧. فقد شبه حال المنافقين في الآية الشريفة بحال الذي يستوقد ناراً للإنارة ولكن الله يذهب بها فجأة.

قالوا في قوله تعالى: ﴿**مثل الذين حملّوا التوراة ثمَّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً**﴾ سورة الجمعة، الآية(٥). فالمشبه هم اليهود الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ـ والمشبه به ـ الحمار يحمل أسفاراً ـ فوجه الشبه هو الحصيلة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة. وهو أي وجه التشبيه كما يلاحظ وصف منتزع من عدة أمور لا من الحمار وحده أو اليهود وحدهم.

ـ أما باعتبار وجه الشبه فهو إن ذكر سُميَّ مفصلاً مثل: «هذا كالقمر في الجمال» وإن لم يذكر سُمِّيَ مجملاً مثل: «هذا كالقمر».

الحقيقة والمجاز:ـ

المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.

والعلاقة هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فهي لذلك قد تكون إنما وضعت لعلاقة مشابهة بين المعنيين فالمجاز يكون في هذه الحال استعارة وإلا فهو مجاز مرسل، ويجري كلّ من هذا أو ذاك في الكلمة تارةً وفي التركيب تارة أخرى.

المرسل:

والمجاز ينقسم إلى قسمين: المجاز اللغويّ والمجاز العقلي.

والمجاز اللغوي هو: الكلمة المستعملة في معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وعلاقاته كثيرة منها:

١ ـ السببية، كقولك: رعت الماشية الغيث أي: الزرع، لأن الغيث سببٌ لوجوده.

٢ ـ الكليّة، مثل: ﴿**يجعلون أصابعهم في آذانهم**﴾ سورة البقرة، الآية(١٩). أي: أناملهم، لأنها جزء من الأصابع.

٣ ـ العموم مثل ﴿**أم يحسدون الناس**﴾ سورة النساء، الآية(٥٤)، أي النبيّ.

٤ ـ المحلية، مثل: ﴿**فليدع ناديَهُ**﴾ سورة العلق، الآية(١٧). أي من يحل في النادي.. وهكذا كالبداية والمجاورة التقييد والاطلاق وغير ذلك.

المجاز العقلي: هو إسناد الفعل وما في معناه من (اسم الفاعل واسم المفعول والعدد) إلى غير ما هو له في الظاهر من المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الاسناد إلى ما هو له. وله علاقات عديدة منها:

١ ـ الاسناد إلى الزمان «من سرّه زمنٌ ساءته أزمان».

٢ ـ الاسناد إلى السبب كقول الشاعر:

إنـــي لمـــن معشـــر أفنـــى أوائلهـــم قيـــل الكمـــاةِ: ألا أيـــن المحـــامـــونـــا

٣ ـ الاسناد إلى المكان: مثل ﴿**وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم**﴾ سورة الأنعام، الآية(٦).

٤ ـ الاسناد إلى المصدر: نحو: «سيذكرني قومي إذا جدّ جدُّهم».. إلى غير ذلك.

الاستعارة:

الاستعارة: هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وأركان الاستعارة ثلاثة هي:

١ ـ مستعار منه وهو المشبه به.

٢ ـ المستعار له وهو المشبه.

٣ ـ المستعار وهو اللفظ المنقول.

بمعنى آخر: المجاز الذي يبنى على التشبيه يسمى إستعارة.

وهي لذكر المشبه به أو عدم ذكره تنقسم إلى تصريحية ومكنية.

الاستعارة التصريحية: وتحصل فيما إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به كقول الشاعر:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضّتْ على العنّاب بالبردِ

فإن المشبه به مذكور وهو اللؤلؤ والنرجس والورد والعناب والبرد.

الاستعارة المكنية: وهي تحصل فيما إذا لم يذكر المشبه به في الكلام بل ذكر ما يلازمه ويدل عليه. مثل قول الشاعر:

وإذا المنيـــة انشبـــت أظفـــارهـــا الفيـــت كـــل تميمـــة لا تنفـــعُ

فإنه شبه المنية بالحيوان الفترس وهو المشبه به المحذوف ولكن أتىٰ على ذكر لوازمه في إنشاب الأظافر فهذه الاستعارة مكنية.

الاستعارة التمثيلية: تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعيّ. وكثيراً ما ترد في الأمثال مثل: (اني أراك تقدم رِجْلاً وتؤخر أخرى)، يضرب للمتردد في الأمر ومثل (أحشَفاً وسوء كيلة) يضرب لمن يظلم من وجهين.

ومثل (تجوع الحرة ولا تأكل بثديها) وهكذا.

وفي الشعر مثل قول الشاعر:

متـى يبلـغ البنيـان يـومـاً تمـامـه إذا كنـــت تبنيـــه وغيـــرك يهـــدُم

وكما في الشاهد النحوي:

إذا قـالـــت حـــذام فصـــدقـــوهـــا فـــإن القـــول مـــا قـــالـــت حـــذامِ

فهذه استعارة تمثيلية كما هو بيّن.

الكناية:

الكناية: لفظ يراد به غير معناه الذي وُضع له مع جواز ارادة المعنى الأصليّ لعدم وجود قرينة مانعة منه. والكناية بحسب المعنى الذي تفيده تقسم إلى أقسام ثلاثة:

١ ـ كناية عن صفة مثل: (صندوقٌ مقفلٌ) كناية عن كتمان السر.

٢ ـ كناية عن موصوف مثل «زيد حارس على ماله» كناية عن بخله وعدم انتفاعه بالمال.

٣ ـ كناية عن نسبة مثل قول الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحَشْرَجِ

فإنه جعل (السماحة والمروءة والندى) في المكان الذي يكون فيه.

والكناية باعتبار اللوازم تقسم إلى أربعة أقسام هي:

١ ـ التعريض: وهي الكلام الذي يشار به إلى معنىً آخر يُفْهم من السياق مثل قولك للمؤذي (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) تعريضاً به على انه غير مسلم.

٢ ـ التلويح: وهو ما كثرت وسائطه من غير تعريض مثل:

وما يك فيّ من عيبٍ فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

٣ ـ الرمز: هو الذي قلّت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض منك (فلان غليظ الكبد) كناية عن قساوته.

٤ ـ الإشارة: هو الذي قلّت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض.

كقول الشاعر:

أو ما رأيت المجد القى رحله في آل طلحة ثمَّ لمْ يتحولِ

كناية عن كونهم أهل جود ومجد. وهو واضح.

٣ ـ علم البديع

البديع: علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطراوةً وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال. مع وضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنىً.

المحسنات البديعية المعنوية كثيرة نذكر منها:

١ ـ التورية: وهو أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد خفيّ، ولا يراد الأول بلْ الثاني البعيد. فيتوهم السامع أن المتكلم أراد الخفيّ والحال أنه أراد البعيد، مثل:

كأنَّ رقابّ الناس قالت لسيفه
رفيقك قيسيٌّ وأنتَ يماني

في الظاهر هو الرجل المنسوب إلى قيس واليمن، ولكن المراد هو التنافر الموجود بين القيسية واليمانية، لا مجرد الانسان الظاهر.

٢ ـ الإفتتان هو الجمع بين غرضين مثل التغزل والحماسة والمرح كما في قول عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منّي وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فقد جمع عنترة بين حماسته وفخره بنفسه وبين الغزل وتشبيبه بعبلة.

٣ ـ الطباق: هو الجمع بين متقابلين في المعنى: كقوله تعالى: ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾ سورة الحديد، الآية(٣).

٤ ـ المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم يؤتى بما يقابلها مثل قوله تعالى: ﴿**فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى**﴾ سورة الليل، الآية(٥ ـ١٠).

٥ ـ حسن التعليل: هو أن ينكر الأديب صراحة أو ضمناً علة الشيء المعروفة ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة مثل:

ومـــا كلفـــة البـــدر المنيـــر قـــديمـــة ولكنهـــا فـــي وجهـــه أثـــر اللطـــمِ

٦ ـ المشاكلة: وهو أن يذكر الشيء بلفظ غيره كقوله تعالى: ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**﴾ سورة المائدة، الآية(١١٦).

٧ ـ المزاوجة: وهي أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء مثل:

إذا مـا نهـى النـاهـي فلـجَّ بـي الهـوى اصـاخـت إلـى الـواشـي فلـجّ بهـا الحجرُ

٨ ـ التفريق: هو أن تفرق بين أمرين من نوع واحد في اختلاف حكمها كقوله تعالى: ﴿**وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج**﴾ سورة الفرقان، الآية(٥٣).

وكذلك هناك أقسام أخرى تعرضنا لها في الشواهد الشعرية البلاغية.

المحسنات البديعية اللفظية.

الجناس: وهو تشابه لفظين في النطق واختلافها في المعنى ويقسم إلى قسمين: أ ـ الجناس التام. ب ـ الجناس غير التام أو الناقص.

الجناس التام: وهو اتفاق اللفظتين في أربعة أشياء هي:

نوع الحروف وعددها وهيئاتها من الحركة والسكون وترتيبها مثل قوله تعالى: ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**﴾ سورة الروم، الآية(٥٥). فالساعة الأولى هي يوم القيامة والساعة الثانية هي مدة الزمن.

وكقول الشاعر:

ومـا مـات مـن كـرم الـزمـان فـإنـه يحيـا لـدى يحيـى بـن عبـد الله

فيحيا الأولى فعل مضارع والثانية اسم علم.

أما الجناس غير التام فهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة.

* الجناس المعنوي: وهو نوعان: جناس إضمار وجناس إشارة.

١ ـ جناس الاضمار: وهو أن يأتي بلفظ يخطر في ذهنك لفظاً آخر وذلك اللفظ يراد به غير معناه بدلالة السياق كقول الشاعر:

فهو إذا رأته عين الرائي أبو معاذ أو أبو الخنساء

فالمفهوم أن (أخو الخنساء) هو (صخر) ولا يراد به الاسم العلم وإنما يراد به الحجر المادة الصخرية.

٢ ـ جناس الإشارة: هو أن يذكر الشاعر أحد الركنين ويشير للآخر بما يدل عليه، وذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به مثل:

يا حمزة اسمح يوصل وامنن علينا بقربِ
في ثغرك اسمك اضحى مصحفاً وبقلبي

فقد أشار إلى ما يجانس لفظ حمزة في البيت الثاني وذلك بأن مصحفه في ثغره وهو (حمزة) وفي قلبه أيّ (جمرة).

* التصحيف مثل: التخلي، التحلي، التجلي.

* الازدواج: تجانس في اللفظين المتجاورين مثل: من جدّ وجد. من لجّ ولج.

* السجع: هو توافق الفاصلين في الحرف الأخير في النثر كقوله

تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً، والجبال أوتاداً﴾ سورة النبأ، الآية: (٦ ـ ٧) وكقوله تعالى: ﴿في سدرٍ مخضود، وطلح منضود، وظلٍّ ممدود﴾ سورة الواقعة، الآية(٢٨ ـ ٣٠).

* الترصيع: هو توازن الألفاظ مع توافق الإعجاز مثل قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم﴾ سورة الانفطار، الآية(١٣ ، ١٤). وكذلك في حال تقاربها ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم﴾. سورة الصافات، الآية(١١٧ ـ ١١٨).

* ـ لزوم ما لا يلزم: هو أن يجيء قبل حرف النهي أو ما في معناه من الفاصلة بما ليس يلازم في التقفية ويلتزم به في بيتين أو أكثر ومقطعين أو أكثر. كقوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر﴾ سورة الضحىٰ، الآية(٩ ـ ١٠). وفي الشعر مثل:

كل واشرب الناس على خبرة ... فهم يمرون ولا يعذبون
ولا تصدقهم إذا حدّثوا ... فإنهم من عهدهم يكذبونْ

* ردّ العجز على الصدر: هو وجود لفظة في أول الكلام ثم مجيئها في الأخير مثل: قوله تعالى: ﴿وتخشى الناس والله أحقّ أن تخشاه﴾ سورة الأحزاب، الآية(٣٧). وقول الشاعر:

سريع إلى ابن العمّ يلطم وجهه ... وليس إلى داعي الندى بسريع

* التسميط: هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام ثلاثة على سجع واحد والأخيرة مختلفة مثل قول الشاعر:

وحرب وردت وثغر سددت ... وعلجٍ شددت عليه الحبالا

* الاكتفاء: وهو أن يحذف الشاعر من البيت شيئاً استغناءً عن ذكره لوجود ما يدل

عليه كقول الشاعر:

إن المنيّـــــة مـــــن يخشهـــــا فســـــوف تصـــــادفـــــه أينمـــــا

* التطريز: هو أن يكون صدر الشعر والنثر مشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني ويكون العجز صفة متكررة بلفظ واحد مثل:

وتسقينـــي وتشـــرب مـــن رحيـــق خليـــق أن يُلقّـــبَ بـــالخليـــق

كـــأن الكـــاس من يـــدهـــا وفيهـــا عقيـــق فـي عقيـــق فـي عقـــيق

* إئتلاف اللفظ مع اللفظ: هو كون ألفاظ العبارة من وادٍ واحد في الغرابة والتأمل كقوله تعالى عن لسان أخوة يوسف(ع): ﴿**تالله تفتأ تذكر يوسف**﴾ سورة يوسف، الآية: (٨٥) فالتاء هي اغرب حروف القسم وتفتأ هو اغرب أفعال الاستمرار ثم جاء (تذكر) التي أولها أيضاً التاء.

وقد مضى القول في بعض هذه الفنون في طيات الشرح.

الكوثرية الخالدة

أمُفَلَّجُ ثَغْرِكَ أمْ جَوْهَرْ ... وَرَحِيْقُ رِضَابِكَ أَمْ سُكَّرْ

قَدْ قَالْ لِثَغْرِكَ صَانِعُهُ ... «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرْ»

وَالخَالُ بِخَدِّكَ أَمْ مِسْكٌ ... نَقَّطْتَ بِهِ الْوَرْدَ الأحمرْ

أَمْ ذَاكَ الخالُ بِذَاكَ الخَـ ... ـدِّ فَتِيْتُ النَّدِّ عَلَى مِجْمَرْ

عَجَباً مِنْ جمرَتِهِ تَذْكُوْ ... وَبِهَا لاَ يَحْتَرِقُ الْعَنْبَرْ

يَا مَنْ تَبْدُوْ لِيْ وَفْرَتُهُ ... فِي صُبْحٍ مُحيَّاهُ الأَزْهَرْ

فَأُجَنُّ بِهِ فِيْ اللَّيْلِ إِذَا ... يَغْشَىٰ وَالْصُبْحِ إِذَا أَسْفَرْ

إِرْحَمْ أَرِقاً لَوْ لَمْ يَمْرَضْ ... بِنُعَاسِ جُفُوْنِكَ لَمْ يَسْهَرْ

تَبْيَضُّ لِهَجْرِكَ عَيْنَاهُ ... حُزْناً وَمَدَامِعُهُ تحْمرّ

يَـــا لِلْعُشَّـــاقِ لِمَفْتُـــوْنِ بِهَـــوَىٰ رَشَـــاءٍ أَحْـــوَىٰ أَحْـــوَرْ

إِنْ يَبْـــدُ لِـــذِي طَـــرَبٍ غَنَّـــىٰ أَوْ لَاحَ لِـــذِي نُسُـــكٍ كَبَّـــرْ

آمَنْـــتُ هَـــوَى بِنُبُـــوَّتِـــهِ وَبِعَيْنَيْـــهِ سِحْـــرٌ يُـــؤْثِـــرْ

أَصْفَيْـــتُ الْـــوِدَّ لِـــذِيْ مَلَـــلٍ عَيْشِـــيْ بِقَطِيْعَتِـــهِ كَـــدَّرْ

يَـــا مَـــنْ قَـــدْ آثَـــرَ هِجْـــرَانِـــي وَعَلَـــيَّ بِلُقْيَـــاهُ ٱسْتَـــأْثَـــرْ

أَصْفَيْـــتُ الْـــوِدَّ لِـــذِيْ مَلَـــلٍ عَيْشِـــيْ بِقَطِيْعَتِـــهِ كَـــدَّرْ

يَـــا مَـــنْ قَـــدْ آثَـــرَ هِجْـــرَانِـــي وَعَلَـــيَّ بِلُقْيَـــاهُ ٱسْتَـــأْثَـــرْ

أَقْسَمْـــتُ عَلَيْـــكَ بِمـــا أَوْلَتْـ ـــكَ الْنُظْـــرَةُ مِـــنْ حُسْـــنِ المنظَـــرْ

وَبِـــوَجْهِـــكَ إِذْ يحمَـــرُّ حَيـــاً وبِـــوَجْـــهِ مُحِبِّـــكَ إِذْ يَصْفَـــرْ

وَبِلُـــؤْلُـــؤِ مَبْسَمِـــكَ المنظُـــوْ مِ وَلُـــؤْلُـــؤِ دَمْعِـــيَ إِذْ يُنْثَـــرْ

أَنْ تَتَـــرُكَ هَـــذَا الهُجْـــرَ فَلَيْـ ـــسَ يَلِيْـــقُ بِمِثْلِـــيَ أَنْ يُهجَـــرْ

فَـــاْجْـــلُ الأَقْـــدَاْحَ بِصِـــرْفِ الـــرَّاْ حِ عَسَـــىٰ الأَفْـــرَاْحُ بِهَـــا تُنْشَـــرْ

وَاْ شْغِـــلْ يُمْنَـــاكَ بِصَـــبِّ اْلْكَـــأْ سِ وَخَـــلِّ يَسَـــاْرَكَ لِلْمِـــزْهَـــرْ

فَـــدَمُ اْلْعُنْقُـــودِ وَلحْـــنُ الْعُـــوْ دِ يُعِيْـــدُ الْخَيـــرَ وَيَنْفِـــيْ الْشَّـــرْ

بَكِّـــرْ لِلَّهْـــوِ وَنَيْـــلِ الْصَفْـ ـــوِ فَصَفْـــوُ الْعَيْـــشِ لِمَـــنْ بَكَّـــرْ

وَٱنْظُرْ لِلْزَّهْرِ بِشَطِّ النَّهـ ـرِ فَوَجْهُ الدَّهْرِ بِهِ أزْهَرْ

هَذَا عَمَلِيْ فَٱسْلُكْ سُبُلِي إنْ كُنْتَ تُقِرُّ عَلى المُنْكَرْ

فَلَقَدْ أسرفْتُ وَمَا أسْلَفْـ ـت لِنَفْسِيْ مَا فِيْهِ أُعْذَرْ

سَوَّدْتُ صَحِيفَةَ أعْمالِي وَوَكَلْتُ الأَمْرَ إلى حَيْدَرْ

هُوَ كَهْفِي مِنْ نُوَبِ الدُّنْيَا وَشَفِيعِيْ فِيْ يَوْمِ ٱلمحْشَرْ

قَدْ تَمَّتْ لِي بِوِلايَتِهِ نِعْمٌ جمَّتْ عَنْ أنْ تُشْكَرْ

لأُصِيْبَ بِهَا ٱلحَظَّ الأَوْفَى وَأُخَصَّصَ بِٱلسَهْمِ ٱلأَوْفَرْ

بِٱلْحِفْظِ مِنَ النَّارِ ٱلْكُبرىٰ وَالأمْنِ مِنَ الْفَزَعِ الأكْبَرْ

هَلْ يَمْنَعُنِي وَهْوَ السَّاقِي أنْ أشْرَبَ مِنْ حَوْضِ ٱلْكَوْثَرْ

أمْ يَطْرُدُنِيْ عَنْ مَأْئِدَةٍ وُضِعَتْ لِلْقَانِعِ وَٱلمُعْتَرْ

يَا مَنْ قَدْ أنْكَرَ مِنْ آيَا تِ أَبِي حَسَنٍ مَا لاَ يُنْكَرْ

إنْ كُنْتَ لِجَهْلِكَ بِالأيَا مِ جَحَدْتَ مَقَامَ أبِي شُبَّر

فَٱسْأَلْ بَدْراً وَٱسْأَلْ أُحُداً وَسَلِ الأحْزَابَ وَسَلْ خَيْبَر

مَنْ دَبَّرَ فِيْهَا ٱلأَمْرَ وَمَنْ أَرْدَىٰ الأَبطَالَ وَمَنْ دَمَّرْ

مَنْ هَدَّ حُصُوْنَ ٱلشرك وَمَنْ شَادَ الإسْلاَمَ وَمَنْ عَمَّرْ

مَـــنْ قَـــدَّمَـــهُ طٰـــهَ وَعَلـــى أَهْـــلِ الإيمـــانِ لَـــهُ أَمَّـــرْ

قَـــاْسُـــوْكَ أَبَـــا حَسَـــنٍ بِسِـــوَاْ كَ وَهَـــلْ بِـــالطَّـــوْدِ يُقَـــاسُ ٱلْـــذَّرْ

أَنَّـــى سَـــاْوَوْكَ بِمَـــنْ نَـــاْوَوْ كَ وَهَـــلْ سَـــاْوَوْ نَعْلَـــيْ قَنْبَـــرْ

مَـــنْ غَيْـــرُكَ مَـــنْ يُـــدْعَـــىٰ لِلْحَـــرْ بِ وَلِلْمِحْـــــرَابِ وَلِلْمِنْبَـــــرْ

أَفْعَـــاْلُ الخيْـــرِ إِذَاْ ٱنْتَشَـــرتْ فـــي النَّـــاْسِ فَـــأَنْـــتَ لَهـــا مَصْـــدَرْ

وَإِذَا ذُكِـــرَ المُعْـــرُوْفُ فَمـــا لِسِـــوَاْكَ بِـــهِ شَـــيءٌ يُـــذْكَـــرْ

أَحْيَيْـــتَ ٱلْـــدِّيـــنَ بِـــأَبْيَـــضَ قَـــدْ أَوْدَعْـــتَ بِـــهِ المـــوْتَ الأحمـــرْ

قُطْبَـــاً لِلْحَـــرْبِ يُـــدِيْـــرُ ٱلْضـــرْ بَ وَيجلُـــوْ ٱلْكَـــرْبَ بِيَـــومِ الْكَـــرْ

فَـــاْصْـــدَعْ بِـــالأَمْـــرِ فَنـــاصِـــرُ كَ ٱلْبَتَّـــارُ وَشَـــاْنِئُـــكَ الأَبْتَـــرْ

لَـــوْ لَـــمْ تُـــؤْمَـــرْ بِـــالْصَّبْـــرِ وَكَظْـ ـمِ ٱلْغَيـــظِ وَلَيْتَـــكَ لَـــمْ تُـــؤمَـــرْ

مَـــا نَـــالَ الأمـــرَ أَخُـــوْ تَيْـــمٍ وَتَنَـــاْوَلَـــهُ عَنْـــهُ حَبْتَـــرْ

لَكِـــنْ أَعْـــرَاضُ ٱلْعَـــاْجِـــلِ مَـــا عَلِقَـــتْ بِـــرِوَائِـــكَ يَـــا جَـــوْهَـــرْ

أَنْـــتَ المُهْتَـــمُّ بِحِفْـــظِ الْـــدِّيـ ـــنِ وَغَيْـــرُكَ بِـــالـــدُّنْيَـــا يَغْتَـــر

أَفْعَـــالُـــكَ مَـــا كَـــانَـــتْ فيهَـــا إِلاَّ ذِكْـــرَىٰ لِمَـــنْ ٱذَّكَّـــرْ

حُجَجـــاً أَلْـــزَمْـــتَ بِهَـــا ٱلخُصَمـــا ءَ وَتَبْصِـــرَةً لِمَـــنْ ٱسْتَبْصـــرْ

آيَـــاتُ جَـــلاَلِـــكَ لاَ تُحصَـــىٰ وَصِفَـــاتُ كَمَـــالِـــكَ لاَ تُحصَـــرْ

مَـــنْ طَـــوَّلَ فِيْـــكَ مَـــدَائِحَـــهُ عَـــنْ أدَنَـــىٰ وَاجِبِهَـــا قَصَّـــرْ

فَـــاقْبَـــلْ يَـــا كَعْبَـــةَ آمَـــالِـــي مِـــنْ هَـــذْي مَـــدِيحِـــي مَـــا ٱسْتَيْسَـــرْ

❊❊❊

شرح القصيدة الكوثرية

١ ـ أَمُفْلَجٌ ثَغْرِكَ أَمْ جَوْهَرْ وَرَحِيقُ رِضَابِكَ أَمْ سُكَّرْ

شرح المفردات:

ٱلْفَلَجْ: صفةٌ تكون في الأسنان، وهي تباعد الثنايا الرباعيات بشكل منتظم جميل، وهي صفة ممدوحة في جمال الثغر.

ٱلثَّغْرْ: الفم.

ٱلرَّحِيْقِ: وهو قسم من الطيب، كرحيق الوردة، أو صفوة الخمرة.

ٱلرِضَاْب: اللّعاب.

شرح البيت:

بدأ الشاعر قصيدته بِمَدح رسول الله ﷺ، لا على طريقة المدح المعروفة في أن يمدح مباشرة بصفات الحكمة والشجاعة والإنسانية وغيرها مثلاً، أو أن يمهد لمدحه بالغزل والتشبيب، ولكنّه أنزل صفات الرسول ﷺ في منزلة المشبّب به إظهاراً لزيادة تعلّقه بالنبي وحبّه الشديد له ولصفاته الروحية بل والحسية كذلك. التي سيتعرّض إلى جملة منها في الأبيات الآتية، وفي هذا البيت يقول: حيث إنَّ ما تباعد من أسنانك في حسن انتظامها ورونقها وجمالها وشدَّةِ بياضها ـ ممّا يزيدها اشراقاً عند الابتسام ـ هل هو ثغر متبسم أم جواهر منتظمة؟ وإن لعابك: هل هو رحيق الأزهار بعذوبته أم السكر في طيب مذاقه...

الشاهد البلاغي: حُسن الابتداء

هو مصطلح بديعي بلاغيّ، يُراد به حسن ابتداء الكلام شعراً كان أم

نثراً، بحيث ينجذب إليه المستمع أو القارىء منذ الوهلة الأولى، وذلك لسلاسة الألفاظ وعذوبتها، وكونها سهلة واضحة جذّابة متوافقةً مع المعنى ومؤدّيةً إليه أحسن أداء، ولذا يُقال حسن الابتداء ـ أي ابتداء الكلام، قال ابن رشيق القيرواني: [إنّ حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطيّة النجاح] وخير مثالٍ على حسن الابتداء هو هذا المطلع، حيث إنّ ألفاظه جميعها سهلة عذبة غير معقّدة التركيب أو المعنى. وقد يطلق عليه (براعة الإستهلال).

وذلك بأن يأتي الشاعر أو الناثر في أول كلامه ما يدلّ على مقصوده بالإشارة لا بالتصريح مثل قول الشاعر:

تجعفــرتُ بــاســمِ الله واللهُ أكبــرُ وأيقنــتُ أنَّ الله يعفــو ويغفــرُ

وقد استهلّ الشاعر الهندي هذه القصيدة بهذا البيت الذي يدلّ ظاهره على التشبيب لا المدح مع الألفاظ السلسلة ذات الموسيقى الجذّابة، فقد تكرّر حرف الراء في هذا البيت أربع مرات، مرتين في الشطر الأول ومرتين في الشطر الثاني، وكانه يريد أن يمهّد به للقافية التي هي الراء ويعطيها مكانةً مهمّة من أول بيت، وقد قسّم بيته كذلك إلى قسمين متساويين (أمفلج ثغرك ـ رحيق رضابك) ثمّ (أم جوهر ـ أم سكّر) ممّا أعطى للبيت رونقاً خاصاً وجذب إليه الأسماع والقلوب. وممّا يزيد الافتتاح روعةً وجمالاً هو ما يسمّى في البديع بـ «التصريع» وهو اتّفاق آخر حرف من الشطر الأول مع القافية ـ جوهر ـ سكر ـ.

* وفي البيت «استفهام» ـ وهو من موضوعات علم المعاني

وَيَرِدُ شاهدٌ له في البيت رقم (٣٢): أم يطردني عن مائدةٍ.

* * *

٢ ـ قَـــدْ قَـــالَ لِثَغْـــرِكَ صَـــانِعُـــهُ «إِنَّـــا أَعْطَيْنَـــاكَ الْكَـــوْثَـــرْ»

شرح المفردات:

الكَوْثَرْ: وهو الذي من شأنه الكثرة، وفي التفاسير أنّ الكوثر هو «فاطمة الزهراء عليها السلام»، ردّاً على العاص ابن وائل إذ كان يتحدّث مع النبي صلى الله عليه وآله فسألته قريش مع مَنْ كنت تتحدّث فقال: كنت أتحدّث مع ذلك الأبتر، (وذلك بعد وفاة ابنيه القاسم وعبد الله) فتأذى النبي صلى الله عليه وآله، فنزلت هذه السورة ﴿**إنّا أعطيناك الكوثر**. . .﴾ أي رزقناك الذريّة الكثيرة من فاطمة عليها السلام.

شرح البيت:

لمّا عرض الشاعر لمدى تعلقهِ بصفات فم الرسول، من أنْ أسنانه ذات فلج وأنْ رضابه كالسكّر لعذوبته، التفت إلى معنى آخر قريب المناسبة لحديثه في البيت الأول، وهو أنّ الله تعالى قال في قرآنه المجيد: ﴿**إنّا أعطيانك الكوثر**﴾، ولعلّه يريد به نهراً في الجنة، لتناسبه مع المعنى العام والسياق. .

الشاهد البلاغي: «الاقتباس»

في البيت «اقتباس» وهو فنّ بديعي، والمراد منه: هو أن يضمن المتكلِّم شاعراً كان أو ناثراً كلامه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، سواء يقتبسه بالنصّ أمْ بتغيير فيه. ومثال ما اقتبسه بالنص:

قَـــدْ قَـــالَ لِثَغْـــرِكَ صَـــانِعُـــهُ ﴿إِنَّـــا أَعْطَيْنَـــاكَ الْكَـــوْثَـــرْ﴾

سورة الكوثر، الآية(١)

وهي آية تامّة لم يغيِّر فيها الشاعر.

ومثال ما اقتبسه بتغيير قول الشاعر:

قــدْ كــان مــا خفــتُ أن يكــونــا إنَّـــا إلـــى الله راجعـــونـــا

والآية هي ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾ سورة البقرة، الآية(١٥٦).

ويجب ألاّ يكون الاقتباس في الهزل وما شابه حفاظاً على قدسية مورد النص. أما إذا ضُمِّن البيت شيئاً من الشعر سُمِّيَ تضميناً، ولا يسمّى اقتباساً كما في بيت الشاعر...

* * *

٣ ـ وَٱلْخَـــالُ بِخَـــدِّكَ أَمْ مِسْـــكٌ نَقَّطْـــتَ بِـــهِ ٱلْـــوَرْدَ ٱلأَحمَـــرْ

شرح المفردات:

الخال: الشامة.

المِسْك: هو نوعٌ من الطيب يميل إلى السواد يستخرج من الغزال. يشبه شكل الخال الموجود في الخدود.

شرح البيت:

ما زال الشاعر هنا يُعَدِّدُ صفات محبوبه، وهو شخص الرسول الأكرم ﷺ، فذَكَر الخال الذي بخدّه الشريف، وشبَّهه بالمسك الذي ينقّط الورد الأحمر، والملاحظ أنّ الشاعر قد هام في أوصاف الرسول ﷺ وذهب خياله بعيداً يصوغ الصور الجمالية الشعرية التي تنجذب إليها الأسماع، وتشبيهُهُ هذا هو تحليق في عالم الصور والخيال وإلا فإنه لا يوجد في الحقيقة مسك ينقط الورد الأحمر وهذا من براعة الشاعر ومدى حبّه لشخص الرسول ﷺ الذي جعله يستحضر مثل هذه الصُوَر المشرقة الجميلة التي تعلوها البهجة والبهاء.

الشاهد البلاغي: «التشبيه»

«التشبيه» من المحسنات البلاغية التي يبحث عنها في علم البيان، وهو عبارة عن عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر بقصد اشتراكهما في صفة ما، مدحاً أو ذمّاً أو غير ذلك. وأركانه الأساس هي:

١ ـ المشبّه، ٢ ـ المشبّه به، ٣ ـ أداة التشبّه، ٤ ـ وجه الشبه.

فجملة محمد كالليث في الشجاعة. يكون (محمد) المشبّه، و(الكاف) أداة التشبيه، و(الليث) المشبّه به، و(الشجاعة) وجه الشبه. ويسمّى المشبّه والمشبّه به طرفي التشبيه. وليس ضرورياً أن يتوفّر أسلوب التشبيه على هذه الأركان جميعها. بل قد يحذف بعضها حسب الاستعمال وبلاغة الشاعر. وللتشبيه أقسام كثيرة لاعتبارات كثيرة، منها: أنّه يقسّم باعتبار طرفيه إفراداً وتركيباً، فالإفراد كالمثال السابق (محمد.. كالليث. والتركيب كقول الشاعر في البيت:

وَٱلْخَالُ بِخَدِّكَ أَمْ مِسْكٌ نَقَّطْتَ بِهِ ٱلْوَرْدَ ٱلأَحمَرْ

فقد شبه الخال في الخد بالمسك الذي ينقّط الورد الأحمر، لجماله وبهائه وروعته.

* * *

٤ ـ أَمْ ذَاكَ الْخَـــالُ بِـــذَاكَ الْخَـــدِّ فَتِيْـــتُ الْنَّـــدِّ عَلَـــى مِجْمَـــرْ

شرح المفردات:

فَتِيْت: هو كل ما فُتَّ في الأصابع.

النَّدّ: عود طيّب الرائحة يفتُّ بالأصابع حتى يصبح كالبخور.

مِجْمَرْ: على وزن (مِفْعَلْ) اسم للمكان الذي يوضع فيه الجمر.

شرح البيت:

البيت معطوف على سابقه، والاستفهام استنكاري، فقد عرض في البيت السابق للشامة التي تزين خدّ الرسول ﷺ الشريف، وشبهها بالمسك الذي ينقط الورد الأحمر، عاد في هذا البيت واستطرد في عرض جمالية هذا الخال الشريف، فشبّهه به «فتيت الندّ» وخدّه الشريف بالمجمر، فأوجد صورة جميلة من هذه التشبيهات المتداخلة التي أظهرت فيه براعة خيال الشاعر ومقدار تفننه من جهة، ومدىٰ تعلّقه وهيامه بصفات الرسول ﷺ الجمالية من جهة ثانية.

الشاهد البلاغي: «الجناس»

الجناس فنٌّ بديعيٌّ، وهو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى، وهو نوعان: لفظيٌّ ومعنويٌّ، وهو إمّا أن يكون تاماً أو غير تام. والجناس التام: هو أن تتّفق اللّفظتان المتجانستان في نوع الحروف وعددها، وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها. والجناس غير التام هو ما اختلف فيه اللّفظان المتجانسان في واحد من الأمور الأربعة.

مثال التام قول الشاعر:

فـــدارهـــم مـــا دُمْـــتَ فـــي دارهـــم وأرضِهِـــمْ مـــا دُمْـــتَ فـــي أرضهـــمْ

(فدارهم) الأولى بمعنى فعل الأمر من المداراة، والثانية بمعنى الدار أي بيتهم.
وكذا (أرضهم) الأولى فعل أمر من رضي يرضىٰ والثانية بمعنى الأرض.

ومثال الجناس غير التام هو قول السيد: أم ذاك الخال بذاك الخدّ

فقد جانس بين الخال والخدّ، وبين الخدّ والندّ، وهو جناس غير تام.

* * *

٥ ـ عَجَبــاً مِــنْ جمْــرَتِــهِ نَــذْكُــو وَبِهَــا لاَ يخْتَــرِقُ الْعَنْبَــرْ

شرح المفردات:

تَذْكُو: تلتهب وتضيء، وذكاء من أسماء الشمس.

العنبر: من أنواع الطيب.

شرح البيت:

يتعجّب الشاعر في هذا البيت من عدم احتراق خاله الشريف الذي هو كالعنبر، وهو في خدّه الشريف الذي يشبه الجمرة. ويلاحظ أنّ الشاعر ما زال هائماً في صفة الخال في شخص الرسول الكريم(ص)، ويجلب لها الصُوَر المشرقة الجميلة، صورة بعد صورة.

الشاهد البلاغي: «الاستعارة»

«الاستعارة» فنٌّ بياني، وهو استعمال اللّفظ استعمالاً مجازياً: أي لغير ما وضع له في اللغة لعلاقة المشابهةِ «المشابهة» بين المعنى الموضوع له والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. والفرق بين الاستعارة والتشبيه هو أنّ الاستعارة تشبيه حُذِفَ أحد طرفيه وحذف وجه الشبه منه وأداة التشبيه، حتى كأن المشبّه والمشبه به ـ في الاستعارة ـ يكونان شيئاً واحداً.

واركان الاستعارة ثلاثة:

١ ـ مستعار منه ـ وهو المشبّه به، ٢ ـ المستعار له ـ وهو المشبه، ويقال لهما طرفا الاستعارة، ٣ ـ المستعار ـ وهو اللفظ المنقول.

توضيح ما سبق كالآتي: لو قال شخص: شاهدت بحراً في المسجد.. وهو يريد عالماً متبحراً، فأصل هذه الاستعارة هي كأنه قال: شاهدت عالماً كانه البحر في المسجد لكثرة علمه، ولا شك فإنه يلاحظ أن الاستعارة اجمل وابلغ من التشبيه لأنها ادعت أن البحر حقيقةً هو العالم بخلاف التشبيه الذي لا يدعي المتكلم فيه كون العالم حقيقة هو البحر.

فإنّه استعار لفظ الجمر للخدّ الذي لم يصرحّ به، وكذا استعار لفظ العنبر للخال لتورّده وبهائه من دون أن يصرّح به كذلك، متناسياً علاقة المشابهة بين المستعار منه والمستعار له، وهنا تكمن روعة البيت ومقدرة الشاعر وخياله.

فكأنّه قال: عجباً من خدّه الذي يحترق كالجمرة، كيف لا يحترق به خاله الذي هو كالعنبر؟ فكان تعبيره رائعاً باستخدامه الاستعارة لا التشبيه.

***

٦ - يَـا مَـنْ تَبْـدُوْ لِـيْ وَفْـرَتُـهُ فِـيْ صُبْـحِ مُحَيَّـاهُ الأَزْهَـرْ

شرح المفردات:

الوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

محياه: وجهه وطلعته.

الأزهر: المضيء المشرق.

شرح البيت:

يقول الشاعر مخاطباً الممدوح وهو«الرسول ﷺ»: أيها الرسول الأكرم يا مَنْ تبدو لي هيئته وجمال وكمال صفاته في إشراقة وجهه الذي هو كالصبح: بهاء وجمالاً، والملاحظ أنّ الشاعر لم يعاصر الرسول ﷺ وإنّما تخيّل صورته في ذهنه الوقاد من خلال الصفات المعروفة عن النبي ﷺ والتي هي صفات الجمال التام، ولذلك كانت طلعته بهيئة مشرقة لأنّ وجهه كان أزهر كالصبح في بهائه وإشراقه وجماله.

الشاهد البلاغي: «الاستعارة التحقيقية»

إذا كان اللّفظ المستعار الذي نُقِلَ إلى أمرٍ معلوم، هو ممّا يمكن أن يُشار إليه إشارة حسيّة أو عقلية فالاستعارة حينئذٍ تُسمّى تحقيقية.. مثل: «شاهدتُ أسداً يُقاتل»، فالمستعار له وهو الشجاع يمكن أن يُشار إليه إشارة حسيّة... وكذا في قوله تعالى: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ سورة الفاتحة، الآية(٦). أي الدين الحقّ، فإنّه أمكن أن يُشار إلى المستعار له وهو الدين الحقّ، إشارة عقلية فيسمّى هذان النوعان من الاستعارة بالاستعارة التحقيقية. أمّا إذا كان المستعار له بخلاف ذلك أي لا يمكن أن يُشار إليه

حسّاً ولا عقلاً، لعدم تحقّقه بكليهما فإنْ الاستعارة حينئذٍ تكون تخيليّة كما في قول الشاعر:

وإذا المنيّـــة أنشبـــت أظفـــارهـــا ألفيـــت كـــلّ تميمـــة لا تنفـــعُ

فإنّ الشاعر استعار للمنيّة الأظافر، وتوهمّها له على سبيل الاستعارة التخييلية.

وفي بيت الشاعر الهندي يلاحظ أنّه استعار لفظ الصبح لبهاء الوجه، فقال «صبح محياه» وهو أمر يمكن إدراكه حسّاً، لذا فهو من قسم الاستعارة التحقيقية.

ولا شكّ أنّك لاحظت أن تقسيم الاستعارة إلى تحقيقية وتخييلية إنّما يكون باعتبار طرفي الاستعارة ـ المُستعار منه والمستعار له.

* * *

٧ ـ فَـأُجَـنُّ بِـهِ فـي اللَّيْـلِ إذَا يَغْشَـىٰ وَالْصُبْـحِ إذَا أَسْفَـرْ

شرح المفردات:

يغشى: أي يغطّي.

أسفر: أسفر الصبح، أي ظهر وبدا.

شرح البيت:

هذا البيت متعلّق بسابقه، فبعد أن شرح الشاعر حال صورة وشكل محبوبه وهو الرسول ﷺ، وأنّ صورته كالصبح المزهر بهاءً ونوراً وهيبةً، ذكر في هذا البيت أنّه بسبب حبه لهذه الصفة الجميلة في وجه النبي ﷺ، يقضي وقته من الليل والنهار في حالة هيام دائم وشغف مستمر بصفات ممدوحه، وهو كالمجنون بسبب ذلك الجمال سواء في الليل لأنّ نور وجه ممدوحه الذي يستحضره في ذهنه يجعله كالمجنون يقضي الليل الأسود يفكّر فيه حتى إذا ما صار الصبح فإنّ نور الصبح يذكّره بنور وجه ممدوحه الذي هو كالصبح في إشراقه.

الشاهد البلاغي: (الوصل)

سُئِلَ أحد البلغاء: ما البلاغة؟.. فقال، هي معرفة الفصل والوصل.

والوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو ويكون هذا في مواضع ثلاثة:

١ ـ إذا اتحدت الجملتان في كونهما خبريّتين أو إنشائيّتين لفظاً ومعنى كقوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾ سورة

حسّاً ولا عقلاً، لعدم تحقّقه بكليهما فإنّ الاستعارة حينئذٍ تكون تخيليّة كما في قول الشاعر:

وإذا المنيّـــة أنشبـــت أظفـــارهـــا ألفيـــت كـــلّ تميمـــة لا تنفـــعُ

فإنّ الشاعر استعار للمنيّة الأظافر، وتوهمّها له على سبيل الاستعارة التخييلية.

وفي بيت الشاعر الهندي يلاحظ أنّه استعار لفظ الصبح لبهاء الوجه، فقال «صبح محياه» وهو أمر يمكن إدراكه حسّاً، لذا فهو من قسم الاستعارة التحقيقية.

ولا شكّ أنّك لاحظت أن تقسيم الاستعارة إلى تحقيقية وتخييلية إنّما يكون باعتبار طرفي الاستعارة ـ المُستعار منه والمستعار له.

* * *

٧ ـ فَـأُجَـنُّ بِـهِ فـي اللَّيْـلِ إذَا يَغْشَـىٰ وَالصُّبْـحِ إذَا أَسْفَـرْ

شرح المفردات:

يغشى: أي يغطّي.

أسفر: أسفر الصبح، أي ظهر وبدا.

شرح البيت:

هذا البيت متعلّق بسابقه، فبعد أن شرح الشاعر حال صورة وشكل محبوبه وهو الرسول ﷺ، وأنّ صورته كالصبح المزهر بهاءً ونوراً وهيبةً، ذكر في هذا البيت أنّه بسبب حبه لهذه الصفة الجميلة في وجه النبي ﷺ، يقضي وقته من الليل والنهار في حالة هيام دائم وشغف مستمر بصفات ممدوحه، وهو كالمجنون بسبب ذلك الجمال سواء في الليل لأنّ نور وجه ممدوحه الذي يستحضره في ذهنه يجعله كالمجنون يقضي الليل الأسود يفكّر فيه حتى إذا ما صار الصبح فإنّ نور الصبح يذكّره بنور وجه ممدوحه الذي هو كالصبح في إشراقه.

الشاهد البلاغي: (الوصل)

سُئِلَ أحد البلغاء: ما البلاغة؟.. فقال، هي معرفة الفصل والوصل.

والوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو ويكون هذا في مواضع ثلاثة:

١ ـ إذا اتحدت الجملتان في كونهما خبريّتين أو إنشائيّتين لفظاً ومعنى كقوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾ سورة

البقرة، الآية(٤٣). فإنّ هذه الجمل قد وُصِلت بالواو وهي جمل إنشائية لأنها من صيغ الأمر.

٢ ـ دفع توهّم غير المراد وذلك في كون الجملتين تختلفان خبراً وإنشاءً، ولو فصل بينهما، لكان الفصل يوهم خلاف المقصود، كما لو سألك شخص (هل شُفيت من المرض)؟ فتقول له: (لا عافاك الله) فإنّه يجب الوصل بالواو أي (لا وعافاك الله) لدفع توهّم أنّك تدعو عليه بلا عافاك الله، لأنّ (لا) تفيد الدعاء عليه هنا.

٣ ـ إذا قُصِدَ تشريك الجملة اللاحقة بالسابقة في الإعراب، ففي هذه الحال كذلك يؤتى بالواو ليوصل بين الجملتين كما تقول..

هندٌ تسافرُ وتقيم.. فجملة (تقيم) عطف على محل جملة (تسافر) التي هي في محل رفع خبر للمبتدأ «هند».

وكذا بيت الشاعر السيد رضا.. فأجن به في الليل... إلخ. فإنّه عطف «والصبح..» على جملة (فأُجنُّ..) أي وأجنّ به في الصبح إذا أسفر كذلك.

كما أنّ فيه طباق مقابلة بين (الليل إذ يغشى) و(الصبح إذا أسفر)، والطباق من المحسنات البديعية، وهو أن تأتي بالمعنى وضدّه في الكلام، فإذا كان التضاد بين جملتين سُمّي (طباق مقابلة).

٨ ـ إرْحَمْ أَرِقّاً لَوْ لَمْ يَمْرض بِنُعَاسِ جُفُونِكَ لَمْ يَسْهَرْ

شرح المفردات:

الأرق: السهر المضني.

شرح البيت:

بعد أن وجّه كلامه في الأبيات السابقة إلى محبوبه وهو النبي ﷺ إذ قال (يا مَنْ تبدو لي وفرته)، قال هنا: ارحمني أنا الأرق الذي لولا أنّني همت ومرضتُ بنعاس جفونك الجميلة لم يضنِني السهر والأرق، ولهذا فأنا أستحقّ رحمتك وعطفك.

الشاهد البلاغي: «الفصل ـ كما الانقطاع»

تقدّم الكلام عن الوصل، ويقابله الفصل وهو ترك العطف بالواو بين الجمل لأسباب تدعو لذلك، كما لو اتحدت الجملتان اتحّاداً تامّاً، وسمّي هذا الفصل بـ «كمال الاتّصال»، أو اختلفتا اختلافاً تامّاً، كأن تختلفان خبراً وإنشاءً مثلاً، ويسمى «كمال الانقطاع»، أو لكون الجملة، الثانية قويّة الارتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤال مفهوم من خلال الجملة فيفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمى «شبه كمال الاتّصال» أو أن ترد جملة بعد جملتين ويمكن عطفها على الأولى، ولكن لو عُطِفَتْ على الثانية لفسد المعنى، لذا فيترك العطف أصلاً تلافياً لذلك ويسمى هذا «شبه كمال الانقطاع»، وأخيراً هو كون الجملتين متناسبتين وبينهما رابطة قويّة، ولكن الذي يمنع من العطف هو عدم التشريك في الحكم بينهما، وبمثال توضيحي لكلٍّ منهما:

١ ـ كمال الاتّصال، كقوله تعالى: ﴿**واتّقوا الذي أمدّكم بما تعلمون * أمدّكم بأنعام وبنين**﴾ سورة الشعراء، الآية(١٣٢ ـ ١٣٣).

٢ ـ كمال الانقطاع، كما في بيت الشاعر: ارحم ارقاً. . . .

٣ ـ شبه كمال الاتصال، كقوله تعالى عن لسان يوسف عليه السلام: ﴿**وما أُبرىء نفسي إنّ النفس لأمارة بالسوء**﴾ سورة يوسف، الآية(٥٣).

٤ ـ شبه كمال الانقطاع، كقول الشاعر:

وتظـنُّ سلمـى أنّنـي أبغـي بهـا بـدلاً أراهـا فـي الضـلال تهيـمُ

٥ ـ «التوسط بين الكمالين مع قيام المانع» كقوله تعالى: ﴿**وإذا خلوا إلى شياطينهم.قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤون، الله يستهزىء بهم. .**﴾ سورة البقرة، الآية(١٤، ١٥).

وبيت الشاعر إرحم أرقاً. . . إلخ، هو كما يُلاحظ قد فصل بين جملة (ارحم ارقاً) وبين جملة (لو لم يمرض بنعاس. . . الخ) والسبب كما هو واضح هو كون جملة (إرحم أرقاً) تختلف اختلافاً تامّاً عن الجملة التالية لها (لو لم يمرض. .) لأنّها جملة إنشائية وهذه جملة خبرية، وهو ما يسمى بـ «كمال الانقطاع».

* * *

٩ ـ تَبْيَـــضُّ لِهَجْـــرِكَ عَيْنَـــاهُ حُـــزْنَـــاً وَمَـــدَامِعُـــهُ تَحْمَـــرْ

شرح المفردات:

الهجر: ضدّ الوصل، وهو الابتعاد والانقطاع والترك.

شرح البيت:

لقد طلب الشاعر رحمة وعطف النبي محمد ﷺ، وقال إنّه يستحقّ هذا العطف والشفقة لأنّه هو السبب في عذابه وأرقه ومرضه وسهره، وأنّه زيادة على ذلك فإنّ عينيه تبيضّان لهجر محبوبه أي تحمرّان، فابيضاض العينين كناية عن العمى، وفي القرآن ﴿**وابيضّت عيناه من الحزن**﴾ سورة يوسف، الآية(٨٤). أي عميتْ حكاية عن يعقوب عليه السلام، وكما يعمى فإنّ دموعه لكثرتها ولحزنه يصبح لونها كالدم احمراراً أو تحمرّ لأنّها أصبحت دمّاً بدل الدموع.

الشاهد البلاغي: «الإيجاز»

حينما نقرأ النصوص الأدبية فإنّنا نجد أحياناً أنّ الأديب شاعراً كان أو ناثراً يختصر في كلامه بعض الكلمات أو الجمل، ممّا يعطي للنصّ الأدبي قوّة تأثير في النفس، ويدلّ على براعة المنشىء، وخير مثال على ذلك «القرآن الكريم»، فانه أوجز في كثيرٍ من آياته الشريفة، فكان ذلك من جملة إعجازه، ويسَمّى هذا الفن (الإيجاز) ويبحث عنه في علم المعاني، وقد قسّمه علماء البلاغة إلى نوعين هما: ١ ـ إيجاز قصر، ٢ ـ إيجاز حذفٍ، وإيجاز القصر هو تضمين معانٍ كثيرة في ألفاظ قليلة كقوله تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾ سورة البقرة، الآية(١٧٩)، ولو أردنا أن نعبّر عن معنى

هذه الآية بألفاظ أخرى فنقول: إنّه لما علم الإنسان أنّه متى ما قتل إنساناً فإنّ جزاءه القتل وبذلك تعمر الحياة وينتفي القتل.. أو غير هذه الألفاظ فإنّنا نلاحظ جمال وروعة وإعجاز الآية الشريفة التي أوجزت المعنى بهذه الكلمات القليلة، ويسمى هذا الإيجاز (إيجاز البلاغة).

* وإيجاز الحذف، هو أن يحذف من العبارة شيء لا يخلّ بالفهم عند وجود ما يدلّ على المحذوف، سواء كان ذلك الدال قرينة لفظية أو معنوية، والمحذوف قد يكون حرفاً وقد يكون اسماً مضافاً وقد يكون مسنداً أو مسنداً إليه وغير ذلك مثل الجملة، فإنّه قد تحذف من الكلام جملة لوجود قرينة دالّة عليها كقوله تعالى: ﴿**كان الناس أمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين**﴾ سورة البقرة، الآية(٢١٣). أي فاختلفوا فبعث الله النبيّين.

وكذا بيت الشاعر: تبيضّ لهجرك...

فالملاحظ أنّه قد حذف الشاعر كلمةً بعد تحمرّ لوجود القرينة عليه، إذ أنّ المدامع تحمرّ من كثرة الألم والبكاء والحزن والأرق. وفي البيت كذلك طباق بين «تبيضّ وتحمرّ».

* * *

١٠ ـ يَـــا للعُشَّـــاقِ لِمَفْتُـــوْنٍ بِهَـوَى رَشَـا أحْـوَى أحْـوَرْ

شرح المفردات:

رشأ: الرشأ هو الغزال.

أحوى: حمرة في شفة الغزال تميل إلى السواد.

أحور: شدّة بياض العين مع شدّة سوادها.

المفتون: المجنون (وجاءت هنا مجازاً).

شرح البيت:

بعد أن طلب الشاعر رحمة حبيبه وشرح صعوبة حاله وقسوتها، استغاث في هذا البيت بالعشاق لإنقاذه فهو المفتون بهوى رشأ أحوى أحور، وإنّما عدّد الشاعر صفات الرشأ ليدلّ على أنّه أحبّ عظيماً وجميلاً يستحقُّ الحبّ، وأنْ حبّه لا شكّ كبير، لأنّ محبوبه في غاية الجمال والكمال..

وقد اعتاد الشعراء العشّاق على الاستغاثة بالآخرين، ومناجاتهم وطلب عونهم، والسبب في استغاثته بالعاشقين هو أنّ العاشقين هم أكثر من غيرهم تفهّماً لموقف الشاعر المتيَّم لأنّهم قد جرّبوا الحب وقد عرفوه، ولذا فهم أولى الناس بالتعاطف مع الشاعر وتفهّم معاناته ومساعدته في محنته.

الشاهد البلاغي: «النداء ـ الاستغاثة»

النداء هو طلب الانتباه من المخاطب بأدوات تنوب مناب كلمة «أنادي»، وأدواته ثمانية:

الهمزة ـ أي ـ يا ـ أي ـ أيا ـ هيا ـ وا ـ يا ـ

ولكن قد تخرج ألفاظ النداء عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى، ويُفهم ذلك من خلال السياق والقرائن، مثل الندبة، والتعجّب، والتذكّر وغيرها كالاستغاثة التي جاءت في هذا البيت للسيد الهندي (يا للعشاق لمفتون. . . الخ).

وفي البيت جناس ناقص بين: أحوى وأحور.

* * *

١١ ـ إنْ يَبْـدُ لِـذِي طَـرَبٍ غَنًـى أوْ لاَحَ لِـذِي نُسُـكٍ كَبَّـر

شرح المفردات:

الطرب: خفّة تصيب الإنسان لفرحٍ وسرور، والتطريب في الصوت مَدُّهُ وتحسينه.

لاحَ: أي لمع وبدا وظَهَرَ.

نسك: عبادة وتقوى ودين.

شرح البيت:

يقول الشاعر: إنّ حبيبي الذي هو كالرشأ في صفاته الجميلة. إذا ظهر لذي طربٍ أي إنسان طروب يحبّ اللهو والاستئناس غنّى واستأنس به، وإن لاحَ للناسك المتعبّد وهو ما يُقابل الإنسان الطروب فإنّه بدوره سيكبّرُ إعجاباً وانبهاراً ودهشة بهذا المحبوب الجميل، فالناس في عشقه والهيام به سواسية، سواء أهل التقوى والعبادة والدين أم أهل الطرب واللّهو.

الشاهد البلاغي: «المقابلة»

من محسنات الكلام المعنوية البديعية المقابلة، وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثمَّ يؤتى بما يقابلها على الترتيب، كقوله تعالى: ﴿يحلُّ لهم الطيِّبات ويحرِّم عليهم الخبائث﴾ سورة الأعراف، الآية(١٥٧) وقول النبي ﷺ: «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع» ففي الآية الشريفة نلاحظ أنّه قابل بين يحلّ ويحرّم / لهم ـ عليهم/ الطيّبات ـ الخبائث مقابلةً تامّة، وفي كلام النبيّ ﷺ فإنّه قابل بين تكثرون ـ تقلّون/ الفزع ـ الطمع.

وكذا في بيت الكوثرية إن لاح لذي. . . إلخ.

فإنّه قابل بين ذي طرب ـ ذي نسك/ غنّى ـ كبرّ، والجدير بالذكر هنا هو أننا أجرينا مقابلة الكلمات هنا للتوضيح وإلاّ فالواجب أن تكون المعاني بذاتها مخالفة، أي بين معنيين أو أكثر كما قلنا، لا الألفاظ فقط، فإنّه يمكن أن يكون هناك اختلاف في الألفاظ ولكن من دون أن يكون الأسلوب مقابلة بل هو من قبيل الطباق.

* * *

١٢ ـ آمَنْتُ هَوَىً بِنُبُوَّتِهِ وَبِعَيْنَيْهِ سِحْرٌ يُؤْثَرْ

شرح المفردات:

هوىً: أي عشقاً وغراماً.

يؤْثَرْ: أي يذكر، ولا يُنسى على تعاقب الأيام والسنوات.

شرح البيت:

بعد أن عرض الشاعر لأوصاف محبوبه النبي ﷺ، وشرح مدى تعلّقه به من دون أن يصرّح به وإنّما ألمح إليه بشكل خفيّ من خلال أوصافه، كالخال وإشراقة الوجه وغيرها، ثمّ شبّهه بالرشأ على عادة الشعراء، ولكنّه يختلف عنهم أنه يشبّه ممدوحه بالرشأ في حين شبّه الشعراء معشوقاتهم بالرشأ، وفي هذا البيت يوضح الشاعر أنّه قد عشق محبوبه الرسول، وهام به، وسبب هيامه هذا هو الذي جعله يؤمن بنبوّته، على خلاف البشر، فالناس تعتقد بالنبوّة اعتقادات روحية وعقلية، أما الشاعر فإن مجرّد الصفات الحسيّة الجمالية جعلته يتعلّق بمحبوبه، بل يعتقد بنبوته، ثمّ قرن هذا كلّه بأنّ في عين الرسول سحراً يجعل الناس يؤمنون به، وعلى الأقل يجعل الشاعر يؤمن بنبوّته لجمال عينيه وبريقهما الذي هو كالسحر.

الشاهد البلاغي: «الخبر»

«الخبر» يأتي في الكلام لإفادة غرضين أساسين يبحثان بعنوان (فائدة الخبر ولازم الفائدة)، والأول: يفيد الحكم الذي تضمنه الخبر كقولك للجاهل «الدين المعاملة» والثاني: هو كإخبارك لمن كان عنده علم بالخبر وقد أخفاه عليك مثلاً، كما لو قلت لمن أخفى عليك سفره إلى بيروت..

أخوك سافر إلى بيروت.

ولكن قد يخرج الخبر إلى أغراض عدّة تُعرف بالقرائن.. كالتحذير، والتوبيخ، والمدح، والاسترحام، والاستعطاف، والفخر، وغيرها، ممّا يُعرف بالذّوق والسليقة، وهو ما يبحث عنه في علم المعاني، ومن جملة ما يمكن أن نستشفه من الأغراض التي يفيدها الخبر هو إظهار مدى الحبّ ومقدار التعلّق بالمحبوب. كما في بيت الكوثرية.. آمنت هوىً... إلخ.

فإنّ الشاعر أراد بالإخبار هنا هو إظهار مدى الحب ومقدار تعلّقه بمحبوبه وهو شخص النبي ﷺ وأنّ هذا الإيمان بنبوّته كان من خلال حبّه وعشقه له ولسحر عينيه، لا عن طريق التحقيق والمحاججة والعقلية.

وفي البيت اقتباس لتضمّن البيت آية من القرآن ﴿سحرٌ يؤثر﴾ سورة المدثر، الآية(٢٤).

* * *

١٣ ـ أَصْفَيْتُ اَلْوُدَّ لِذِي مَلَلٍ عَيْشِي بِقَطِيْعَتِهِ كَدَرْ

شرح المفردات:

أصفيتُ: أخلصتُ، والصفو من الشيء هو الخالص منه.

الودّ: الحب.

الملل: السأم والضجر.

كدّر: ضد الصفو، وكدر العيش تنغصه.

شرح البيت:

في البيت السابق، يكون الشاعر قد انتهى من وصف محبوبه النبي ﷺ، وأنّ هيامه له هو الذي حمله على الاعتقاد بنبوّته. وفي هذا البيت يعرض الشاعر لحب من نوع آخر، وهو حب ليس للنبي ﷺ، بل بمحبوبٍ عاديٍّ، حاله كحال بقية العشاق المولّعين بمن يحبّون، وهذا المحبوب الآخر مقاطع له، حتى أنّ عيشه من جرّاء ذلك أصبح كدراً، رغم أنّه كان قد أخلص له الود والمحبة.

الشاهد البلاغي: «الأمر ـ الضعف والخشوع»

ذكرنا في البيت السابق أنّ الخبر يُلقى في الكلام ويراد به أغراضاً عدّة، غير الغرضين الأساسيين الذين أشرنا إليهما، وهذه الأغراض كثيرة يستدل من خلال السياق عليها، وبالذوق والفطرة السليمة، وهي كالتحذير والتوبيخ.. إلخ، ومنها إظهار الضعف والخشوع، كما في قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام **﴿ربِّ إنّي وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً﴾**، سورة

مريم، الآية(٤). فزكريا لم يرد أن يُخبر الله تعالى لأنّه عالم به، ولكنّه أراد أن يظهر ضعفه وخشوعه للباري جلّ وعلا.

وكذلك فالشاعر في بيته: أصفيتُ الود لذي مَلَلٍ... إلخ. لم يرد أن يُخبر القارىء أو المستمع بأنّه قد أصفى الود لملول مقاطع مجافٍ، ولكنّه أراد أنّ يظهر مدى خشوعه وضعفه من جراء هذا الجفاء وتلك القطيعة، وهو ما يناسب مقام الكلام.

وفي البيت طباق بين «أصفيت وكدّر».

* * *

١٤ ـ يَـا مَـنْ قَـدْ آثَـرَ هِجْـرَانـي وَعَلَـيَّ بِلُقْيَـاهُ اسْتَـأْثَـرْ

شرح المفردات:

آثر: فضَّل.

الهجران: من الهجر، وهو ضدّ الوصل.

بلقياه: أي بلقائِه.

استأثر: رفض ومنع.

شرح البيت:

يخاطب الشاعر حبيبه في هذا البيت، وحبيبه هو الذي هجره وامتحن قطيعته والابتعاد عنه، وحبّب الهجران والبُعد وترك القرب والوصل، ولا شكّ أنّك تعلم أنّ الصدود والهجر هي صفاتٌ تكاد تكون مشتركة في المعشوقين ولذلك تكثرُ عادة الشكوى من الشعراء العشّاق.

الشاهد البلاغي: «الإطناب»

قد يزيد المتكلِّم على معناه المؤدّى بعبارة أخرى توكيداً وتقوية له، كقوله تعالى: ﴿**ربِّ إنيّ وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً**﴾ سورة مريم، الآية(٤). وهو على لسان زكريا عليه السلام. ويريد هو أن أن يقول بعبارة مختصرة: كبرتُ. ولكنه عبَّرَ بهذه الكلمات لتوكيد المعنى وتقويته، ويسمّى هذا اللّون في علم المعاني (الإطناب)، ومنه قول السيد الهندي:

يا مَنْ قد آثر هجراني...

فالشطر الثاني هو توكيد لمعنى الأول وتقريرٌ له لا غير.

أما إذا كانت الزيادة بلا فائدة فهي «تطويل» و«حشو»، وكلاهما معيب على الشاعر أو الناثر بالبلاغة والأدب.

وفي البيت جناس غير تام بين «آثر واستأثر». وكذلك فيه طباق بين هجران ولقيا.

* * *

١٥ ـ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِما أَوْلَتْكَ النُّظْرَةُ مِنْ حُسْنِ المنظَرْ

شرح المفردات:

أولتك: أعطتك.

النُّظرة: بضم النون وهي الرونق والحسن.

المنظر: الطلعة والمشهد.

شرح البيت:

الشاعر يقسم على حبيبه الذي هجره وصدّ عنه ولم يتلطّف عليه بملاقاته بنظرته وإشراقته التي زادت منظره حسناً وبهاءً وجمالاً، وسوف يقسم عليه بأشياء أخرى، لأجل أن يترك هجره كما سيأتي.

الشاهد البلاغي: «الجناس الناقص»

مرّ معنا أنّ الجناس نوعان: جناس تام، وهو نادر الحدوث، والجناس الناقص وهو الأكثر حدوثاً، ومن ذلك بيت السيد في الكوثرية:

أقسمت عليك بما... إلخ.

فإنّ الشاعر جاء بلفظ النظرة والمنظر، وهو كما يلاحظ قد جانس بين هاتين اللفظتين في الحروف الآتية (النون، الظاء، الراء، والألف، واللام) وقد اختلفتا بأنّ الأولى فيها التاء القصيرة، وليس في الثانية تاء. في حين أنّ في الثانية ميمٌ وليس في الأولى ميماً لذلك يسمّى هذا الجناس جناساً ناقصاً

أو غير تام، لم يتطابق اللّفظان فيه من حيث نوع الحروف وعددها وهيآتها التركيبية.

* * *

١٦ ـ وَبِـوَجْهِـكَ إذْ يَحمَـرُّ حَيَـاً وَبِهـوَجْـهِ مُحِبُّـكَ إذْ يَصْفَـرْ

شرح المفردات

حياً: أي حياءً، والحمرة تأتي من الخجل والصفرة من الخوف.

شرح البيت:

لقد أقسم الشاعر في البيت السابق على محبه بُنظرته التي زادته بهاءً وجمالاً، وكذلك يقسم عليه في هذا البيت بوجه محبوبه الذي يحمرّ لشدّة الحياء وبوجهه هو أي ـ الشاعر ـ حينما يصفر، ويكون ذلك أي احمرار وجه المحبوب وصفرة وجه العاشق في حال التلاقي، فإنّ هذه الحال معهودة من العشّاق.

والمسوّغ لقسم الشاعر هو أنّ احمرار الوجه يزيد المحبوب جمالاً، فكما أقسم عليه بالنظرة التي تزيد من جماله، فقد أقسم عليه بحمرة وجهه لأنّها انعكست في جماله.

ويقسم الشاعر بوجهه الذي يصفرّ، فوجهه إنّما يصفرّ بسبب المعشوق هيبة له وارتباكاً وحبّاً، وبما أنّ المحبوب هو السبب في هذه الحال الإنسانية فهو يقسم عليه بها لأنّها تستحقّ هذا القسم.

الشاهد البلاغي: «الاكتفاء»

من جملة أنواع الجناس المعنوي البديعية نوعٌ يُسَمّى الاكتفاء، وهو: أن يحذف الشاعر من البيت شيئاً، لدلالة العقل عليه كقول الشاعر:

فـإنّ المنيّـة مَـنْ يخشهـا فسـوف تُصـادفـه أينمـا..

أي أينما توجّه..

وكذلك فقد حذف الشاعر في بيته..

وبـــوجهـــك إذ يحمـــرّ حيـــاً وبـــوجـــه مُحبِّـــك إذ يصفـــرْ

أي: يصفر مهابةً وارتباكاً وحبّاً. وقد حذف ما يناسب من هذه الألفاظ لدلالة العقل عليه، إذْ أنَّ اصفرار وجه المحبوب يكون عادةً بدافع الهيبة والارتباك وما إلى ذلك، وهو أمر شائع معروف، لذا فقد استغنى الشاعر عن ذكره. ويسمّى هذا الحذف بالاكتفاء، أي يُكتفى بما ذكر عمّا حُذفَ.

وكذلك في البيت طباق بين: يحمرّ ويصفر.

***

١٧ ـ وَبِلُـــؤلُـــؤِ مَبْسَمِـــكَ المنظُـــوْمِ وَلُـــؤْلُـــؤِ دَمعِـــيَ إذْ يُنْثَـــرْ

شرح المفردات:

اللؤلؤ: الشيء اللامع.

المبسم: الثغر والفم، والتبسم أقل من الضحك.

المنظوم: أي المجموع، ونظم اللؤلؤ هو جمعه في السلك بانتظام.

ينثر: ما يتناثر من الشيء من شدة الكثرة.

شرح البيت:

ما زال الشاعر يستطرد في القَسَم توكيداً على مطلبه لأهميّته، فإنّ الإنسان إذا كان لديه شيء مهم وعظيم ويريد إنجازه يعمد إلى الإكثار من القسم بالأشياء التي لها قيمة ومكانة وأهمية لدى الشخص المقسم عليه بها لإنجاز حاجته ومطلبه، ولذا فالشاعر في هذا البيت يقسم على محبوبه بصفة جمالية أخرى وهي المبسم الذي هو كاللؤلؤ لانتظامه وجماله، وفي الوقت نفسه يقسم عليه بصفة فيه هو ـ أي الشاعر ـ وهي تناثر دمعه الذي هو وإن كان كاللؤلؤ كذلك لبكائه على حبيبه إلاّ أنّه يختلف عنه لأن لؤلؤ دمعه يكون مع الحزن في حين أن لؤلؤ مبسم حبيبه يكون مع السرور والفرح والغبطة.

الشاهد البلاغي: «التورية»

في هذا البيت «تورية»، وهي من ألوان علم البديع من قسم المحسنات المعنوية.. والتورية في اللغة تعني الستر والإخفاء وإظهار شيء بدل شيء. وفي الاصطلاح البلاغي هي: أن يذكر المتكلّم لفظاً مفرداً له معنيان:

أحدهما قريب ظاهر غير مقصود، والآخر بعيد خفيّ مقصود، فيتوهّم السامع أنه يريد المعنى القريب، والحال أنّ المتكلّم يريد المعنى البعيد بقرينة تدلُّ عليه من دون أن تُظهرهُ.

مثل قول الشاعر :ـ

أبيـــات شعـــرك كـــالقصـــور ولا قصـــور بهـــا يعـــوقُ
ومـــن العجـــائـــب لفظهـــا (حُـــر) ومعنـــاه (دقيـــقُ)

فالظاهر من معنى لفظ (رقيق) هو رقّة المعنى، والحال أن الشاعر أراد الرق بمعنى العبودية. فألفاظها وإن كانت جذّابة حرّة فإن معانيها غير جيّدة ومستهجنة، لأن نسبة الألفاظ إلى المعاني هي كنسبة الحرّ إلى العبد.

وكذا البيت :

وبلـــؤلـــؤ مبسمـــك المنظـــوم ولـــؤلـــؤ دمعـــي إذ ينثـــر

فإنّه لم يرد انتظام المبسم ونثر الدموع، بل أراد المعنى البعيد، وهو أنّه شبّه لؤلؤ مبسمه بالنظم من الشعر، ولؤلؤ دمعه بالنثر من الكلام، ولا شكّ أنّ المنظوم أرفع درجةً وأعلى منزلة من النثر.

***

١٨ ـ أَنْ تَتْـــرُكَ هـــذَا الهجْـــرَ لَلَّبْـ ـــــنَ يَلِيـــقُ بِمِثْلِـــي أَنْ يُهجَـــرْ

شرح المفردات:

يليق: يناسب.

شرح البيت:

بعد أنّ أقسم الشاعر على محبوبه بكل الصفات الجميلة التي تزينه، بل وبصفات الشاعر وحالته العاطفية التي سببّها العشق، وهي حالات إنسانية مؤهلة لأن يقسم بها الشاعر على محبوبه لأنّه هو سببٌ فيها، كل ذلك من أجل أن يترك هذا المحبوب هجره وابتعاده عنه، لأنّه لا يليق بمن كان بمكانة الشاعر ومدى حبّه وتعلّقه أن يهجره، لا سيما وانه اصفرّ وجهه تخوّفاً من القطيعة وتناثر دمعه شوقاً، كما ذكر.

الشاهد البلاغي: «الجناس ـ مشابهة، اشتقاق»

ذكرنا أنّ الجناسْ يكون لفظياً، ويكون معنوياً، واللفظي يكون تاماً، ويكون غير تام، والجناس غير التام له أشكال وتسميات عديدة، منها أنّه يكون التشابه في الألفاظ من باب الاشتقاق كقوله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين القيّم**﴾ سورة الروم، الآية(٤٣)، وفي الحديث: (الظلم ظلمات يوم القيامة) وكقول الشاعر محمد بن وهيب:

فَسَمْتَ صروف الدهر بأساً ونائلاً فما لُكَ موتورٌ وسيفُك واترُ

وتارة يكون الجمع بين اللفظين من باب المشابهة أي ما يشبه الاشتقاق، وليس منه كقوله تعالى: ﴿**أَثَّاقَلْتُمْ إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا**﴾ سورة التوبة، الآية(٣٨). فبين الأرض وأرضيتم مشابهة كما يلاحظ

وكذا قوله تعالى: ﴿وجنى الجنّتين دان﴾ سورة الرحمن، الآية(٥٤)، وكذا قول الشاعر البحتري:

وإذا مـــا ريـــاح جـــودك هبّـــتْ صـــارَ قـــول العـــذول فيهـــا هبـــاءا

كذلك بيت الشاعر في كوثريته:

أن تترك هذا الهجر . . . إلخ.

فـإنّـه جـانـس بيـن (الهجـر ويهجـر) كـون المشـابهـة بينهمـا مـن جهـة الاشتقاق.

* * *

١٩ ـ فَـأَجْـلُ الأَقْـدَاحَ بِصـرْفِ الْـرَّ احِ عَسَـىٰ الأَفْـرَاحُ بِهَـا تُنْشَـرْ

شرح المفردات:

اجلُ: هنا بمعنى املأها.

الأقداح: الكؤوس.

الصرف: الخالص من الخمر.

الراح: الخمر.

شرح البيت:

كأنّ الشاعر بعد أن أقسم على حبيبه راح يتصوّر أو يعتقد أنّ حبيبه قد استجاب له وترك هجره وصدوده وأقبل عليه فناداه بأن يملأ الكؤوس بالخمر، لأنّه يرجو أن تنتشر الافراح وَيعم الأنس والطرب والبهجة.

الشاهد البلاغي: «الترجّي»

قد يطلب الشيء المحبوب الذي لا يُرجى حصوله ولا يُتوقّع على سبيل التمنّي كقول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبرهُ بما فعلَ المشيبُ

ولذا يسمّى هذا الطلب بالتمنّي ويبحث في علم المعاني. ولكن قد يكون الطلب لما يرجى حصوله فيسمّى حينئذٍ ترجّياً، ويعبَّر عن ذلك بـ «عسى، ولعلّ»، وأحياناً بـ «لَيْتَ» كقوله تعالى: ﴿لعلَّ الله يُحدِثُ بعد ذلك أمراً﴾ سورة الطلاق، الآية(١).

وكذلك قول الشاعر في كوثريته:

فـــآجـــل الأقـــداح بصـــرف الـــراح عســـــى الأفـــــراح بهـــــا تنشـــــر

فإنّه لا شكّ يتوقّع حصول الأفراح وانتشارها.

***

٢٠ ـ وَاشْغِلْ يُمْنَاكَ بِصَبِّ الْكَا سِ وَخَلِّ يَسَارَكَ لِلْمِزْهَرْ

شرح المفردات:

يُمناك: يدك اليمنى.

يسارك: أي يدك اليسرى.

للمزهر: وهو من آلات العزف والطرب يضرب عليه.

شرح البيت:

الشاعر ينطلق في نشوته مع محبوبه، فيطلب منه هذه المرّة أن يشرب الخمرة بيده اليُمنى ويعزف على المزهر بيده اليُسرى، بمعنى أن نشتغل جميعاً باللهو والطرب.

الشاهد البلاغي: «الأمر ـ الالتماس»

«الأمرُ» من مباحث علم المعاني البلاغية، وهو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلتزام، وصيغه أربعة:

١ ـ فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوّة**﴾ سورة مريم، الآية(١٢).

٢ ـ المضارع المجزوم بلام الأمر: ﴿**لينفق ذو سعة من سعته**﴾ سورة الطلاق، الآية(٧).

٣ ـ المصدر النائب عن فعل الأمر كقول الشاعر القروي:

صياماً إلى أن يفطر السيف بالدم وصمتاً إلى أن يصدح الحق يا فمي

٤ ـ اسم فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿**عليكم أنفسكم لا يضرّكم مَنْ ضلَّ إذا اهتديتم**﴾ سورة المائدة، الآية(١٠٥).

ولكن قد تخرج صيغ الأمر هذه عن المعنى الموضوعة له أصلاً إلى معانٍ أخرى غير «الإلتزام والإيجاب»، وتفهم تلك المعاني من خلال القرائن وسياق الجملة، مثل الدعاء والإباحة والتسوية والتمنّي وغيرها التي لا يراد بها الإلتزام والايجاب في فعل الشيء أو تركه، ومن ذلك الالتماس وهو في كون القول موجّهاً إلى المساوي في المرتبة والمكانة، كما إذا قلت لصديقك الذي يساويك: أعرني قلمك.

وكذا بيت السيد في الكوثرية:

واشغـــلْ يُمنـــاك بصـــب الكـــأس وخـــلّ يســـارك للمـــزهـــر

فهو يناجي نديمه وصاحبه الذي يساويه، لذا فهذا الأمر قد خرج إلى غرض الالتماس.

***

٢١ ـ نَـدَمُ ٱلْعُنْقُـوْدِ وَلحْـنُ الْعُـوْدِ يُعِيْـدُ الخيـر وَيَنْفِـي الشـرّ

شرح المفردات:

دم العنقود: يُريد به هنا الخمر.

لحن العود: أي الموسيقى المنبعثة من العود أو المزهر.

شرح البيت:

بعد أن طلب الشاعر من حبيبه أن يكون نديمه في اللهو سواء في شرب الخمر أو في العزف على العود، فإنّه في هذا البيت يعلل لماذا طلب من محبوبه ذلك فيقول: إنما طلبت ذلك لأنّ الخمرة والطرب تعيد الخير وتبعد الشر عن الناس.

الشاهد البلاغي: «الجمع»

المحسنات البديعية: ـ على قسمين: محسنات معنوية، وأخرى لفظية.

المحسنات المعنوية: وهي أقسام مثل التورية والمقابلة والطباق والإرصاد والاستطراد وحسن التعليل والجمع وتأكيد المدح بما يشبه الذمّ والعكس والتقسيم والتفريق إلى غير ذلك.

والمحسنات اللفظية: وهي ما يبحث عنه بعنوان الجناس أو التجنيس أو المجانسة، وهو كذلك ينقسم إلى قسمين: لفظي ومعنوي. واللفظي ينقسم إلى عدّة ألوان وأقسام مثل السجع والموازنة والترصيع والتسميط وغيرها.

ومن أقسام المحسنات المعنوية هو «الجمع». وهو أن يجمع المتكلّم في كلامه بين متعدّد تحت حكم واحد، كقوله تعالى: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ سورة الكهف، الآية(٤٦). وكقول الشاعر:

آراؤه وعطـــــايـــــاه ونعمتُـــــهُ وعفـــوهُ رحمـــةٌ للنـــاس كلّهـــم

ففي الآية الشريفة جمع بين المال والبنين تحت حكم واحد وهو كونهما زينة، وفي بيت الشاعر جعل آراء الممدوح وعطاياه ونعمته وعفوه تحت حكم واحد، وهو كونها رحمة لجميع الناس.

وكذا بيت الكوثرية.. فدم العنقود ولحن العود..

فكل من دم العنقود ولحن العود جعله الشاعر تحت حكم واحد، وهو كونهما ينفيان الشر ويجلبان الخير والسرور والفرح.

وفي البيت جناس غير تام بين العنقود والعود، ومقابلة بين يعيد الخير وينفي الشر.

* * *

٢٢ ـ بَكِّـرْ لِلهْـوِ وَنَيْـلِ الصَفْـوِ فَصَفْـوُ الْعَيْـشِ لِمَـنْ بَكَّـرْ

شرح المفردات:

بكّر: البكور: الصباح أو أول الصباح، بَكَّرَ: أي تعجّل منذ أول الوقت أو أول الصبح.

نيل: أي الأخذ والإصابة.

الصفو: ضد الكدرة.

شرح البيت:

يدعو الشاعر إلى المبادرة للهو والإسراع إليه ويعلّل ذلك بأنّ صفاء العيش والحياة هي لمن يسارع ويكون السبّاق، فيطالب الشاعر بالإسراع لا إلى العمل والاجتهاد والمثابرة وغيرها، بل إلى اللهو والعبث لأنّها مسرّة للنفس والروح.

الشاهد البلاغي: «ردّ العجز على الصدر»

من المحسنات البديعية ويكون في النثر والشعر. ففي النثر يجعل أحد اللفظين المكرّرين أو المتجانسين أو الملحقين بهما «كأن جمعهما اشتقاق أو شبهٌ» في أول الفقرة ثم تُعاد في آخرها كقوله تعالى: ﴿**استغفروا ربكم إنّه كان غفاراً**﴾ سورة نوح، الآية(١٠).

فهو أن يأتي لفظ في الشطر الأول من البيت ثم يأتي في آخر البيت أي في قافيته.. كقول الشاعر:

تمتّـع مـن شميـمِ عَـرار نجـدٍ فمـا بعـد العشيـة مِـنْ عـرارِ

وكذا بيت الكوثرية:

بكر للهو ونيلِ الصفو. . . الخ.

فإنّه قد ردَّ عجز البيت على صدره من خلال كلمة (بَكّر) التي جاءت في آخر البيت وأوّله.

وكذلك فيه جناس غير تام بين (بكِّر وبَكَّر) وبين (الصفو وصفو)، وسجع بين (اللهو) و(الصفو).

* * *

٢٣ ـ وَانْظُرْ لِلزَّهْرِ بِشَطِّ النَّهْرِ فَوَجْهُ الدَّهْرِ بِهِ أَزْهَرْ

شرح المفردات:

الزهر: أي الورد، وزهرة البيت نورها.

أزهر: أشرق وتلألأ.

شرح البيت:

ثمَّ دعا الشاعر إلى الالتفات إلى الطبيعة وحُسنها، ومن حسن الطبيعة الزهور والورود، لاسيمّا التي تكون على شواطىء الأنهار، والتي تبعث البهجة في النفس حتى كان الدهر يشرق بها ويتلألأ.

الشاهد البلاغي: «الترصيع»

من فنون البديع المعنوية فنّ يُسمّى «الترصيع»، وهو توازن الألفاظ مع توافق الإعجاز أو تقاربها، مثال التوافق: قوله تعالى: ﴿**إنّ الأبرار لفي نعيم * وإنّ الفجّار لفي جحيم**﴾ سورة الانفطار، الآية(١٣)، فقد وازن ألفاظ الجملتين ووافق في أعجازها بالحرف (ميم) ومثال التقارب قوله تعالى: ﴿**وآتيناهما الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم**﴾ سورة الصافات، الآية(١١٧). فقد قارب بين النون والميم (في المستبين والمستقيم).

وفي بيت الكوثرية.. وانظر للزهر بشط النهر فوجه الدهر.. إلخ.

نراه قد وازن بين الألفاظ، وقد وافق بين الإعجاز بحرف (الراء) وهو كما أسلفنا يسمّى بفن «الترصيع».

* * *

٢٤ ـ هَـذَاْ عَمَلـيْ فَـاسْلُـكْ سُبُلـيْ إنْ كُنْـتَ تُقِـرُّ عَلـى المُنْكَـرْ

شرح المفردات:

السُبُل: واحدها السبيل وهو الطريق.

تُقرّ: تعترف.

شرح البيت:

يقول الشاعر: إنّ هذا هو عملي، وهو عبارة عن اللهو والطرب، فإذا كنتَ تقرّ على المنكر فافعل فعلي واعمل عملي. أمّا عن عمله ما هو من غير ما مرّ من أمر اللهو والمجون والطرب فسيأتي في قوله (سودت صحيفة أعمالي. . . البيت ٢٦).

يقول إن نهجي في الدنيا وطريقتي في هذه الحياة هي ما ذكرتها لك: في أنّ أي شيء يجلي لي الأفراح ويمتّعني في الدنيا فهو ما أرتئيه ولا أبالي إن كان منكراً، فإذا كنت من الذين يقرّون ويعترفون به فامشِ في طريقي وعلى نهجي.

الشاهد البلاغي: (الأمر ـ النصح والإرشاد)

ذكرنا أنّ صيغ الأمر قد تخرج عن معناها الحقيقي الذي هو (الإلزام والإيجاب) إلى معانٍ مجازية تستفاد من سياق الجملة وقرائن الحال، ومن ذلك أنّها قد تخرج إلى الإرشاد كقوله تعالى: ﴿**إذا تداينتم بِدَيْنٍ إلى أجلٍ مسمّىً فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل**﴾ سورة البقرة، الآية(٢٨٢). فصيغة الأمر الأولى في الآية هي (اكتبوه) وهي فعل أمر، والثانية هي (ليكتبْ) وهي فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وكلا الصيغتين هما من صيغ

الأمر الأربع، ولكنّهما تخرجان عن معنى الإيجاب والإلزام إلى معنى الإرشاد، وهو من الأغراض التي يخرج إليها الخبر، وإلاّ لوجب على كلّ مستدين أو دائن أن يكتب عند كاتب العدل وذلك كما ينصّ الفقهاء غير واجب.

وكذا بيت الكوثرية: هذا عملي فاسلك سُبُلي... إلخ.

فإنّ فعل الأمر هنا (اسلك) لا يدلّ على الإلزام والوجوب، بلْ هو كما يلاحظ في السياق والقرائن يدلّ على الإرشاد والنُصح، إذ أنّ إطاعة الشاعر هنا في البيت غير واجبة، ولم يقصد بها الشاعر مطلقاً من أراد النصح والإرشاد أو مَنْ يريد النجاة والخلاص من عقوبة المعاصي والآثام.

***

٢٥ ـ فَلَقَدْ أسرفْتُ وَمَا أسْلَفْتُ لِنَفْسِي مَا فِيهِ أُعْذَرْ

شرح المفردات:

أسرفت: أي تجاوزتُ الحد في الإسراف.

أسلفت: أي قدمت.

شرح البيت:

يوضح الشاعر في هذا البيت قبل الدخول في معرض آخر وموضوع آخر: أنه قد أسرف في اللهو والعبث، ولم يقدّم شيئاً لآخرته يعتذر به يوم الحساب، إذ أن أعماله جميعها قد تجاوزت الحدود الموافقة للشرع والدين. ولكن شيئاً ما هو الذي سيكون شفيعه ويبرر له كل هذه الخطايا سيأتي على ذكره في البيت الآتي:

يقول إنني تجاوزت الحدود في ارتكاب المنكر والمعصية، ولم أفعل شيئاً من الطاعات والعبادات في الدنيا مما يجعلها ذخراً لآخرتي حتى أكون مقبولاً عند الله، فإن عملي كله معاصٍ ولا يوجد إلى جانبها طاعة تخفف الحمل الذي أثقل ظهري.

الشاهد البلاغي: (الجناس المضارع)

ذكرنا أنّ الجناس اللفظي، إما أن يكون تاماً وهو نادر الورود، وإما أن يكون غير تامٍّ، ويسمونه الناقص كذلك، وهذا الاخير له ألوان وأقسام كما مرّ بنا، ومن ذلك: إذا اختلفت اللفظتان في حرفين لم يتباعد مخرجاهما سمي ذلك الجناس باسم الجناس المضارع، وذلك يكون في أوّل الكلمة تارة، وفي وسطها أو آخرها تارة أخرى، أما إذا كان في بداية الكلمة فهو

كقول الحريري: (بيني وبين كِنّي ليل دامس وطريق طامس)، و(كنّي) هو البيت، ويلاحظ هنا أن الاختلاف رفع بين لفظ دامس وطامس أي بين حرفي الدال والطاء، وهما متقاربان في مخرجهما.

وفي الوسط كقوله تعالى ﴿**وهم ينهون عنه وينأون عنه**﴾ سورة الأنعام، الآية(٢٦). فالهاء تقترب من الهمزة في المخرج الصوتي، وفي الآخر كقوله ﷺ (الخَيْلُ معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة)، فمخرج اللام من الخيل والراء من الخير متقارب كل منهما مع الآخر.

وكذا بيت الكوثرية: فلقد أسرفتُ وما أسلفت... إلخ.

فهو قد جانس جناساً ناقصاً بين «أسرفتُ» و «أسلفتُ» والحرف الذي أُبدل هو الراء باللام، وهما قريبا المخرج، لذا يسمى هذا النوع من الجناس «الجناس المضارع».

* * *

٢٦ ـ سَـوَّدْتُ صحِيْفَـةَ أعْمَـالـي وَوَكَلْـتُ الأمْـرَ إلـى حَيْـدَرْ

شرح المفردات:

صحيفة أعمالي: بمثابة السجل الذي تدوّن فيه أعمال الإنسان من خير وشر وتعرض يوم القيامة للحساب.

وكلته: سلمته وتركته إليه.

حيدر: من أسماء الأسد ويراد به هنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو من جملة ألقابه عليه السلام.

شرح البيت:

الشاعر يصل الذروة في أبياته السابقة في أمر اللهو والمجون والإسراف، وحين يعترف أن صحيفة أعماله أصبحت سوداء، لما أسرف في حياته مما يخالف الشرع، لسلوكه طريق اللاهين العابثين، والتي من المفروض أن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه عليها، ولكن الشاعر لاعتقاده بولاية أمير المؤمنين وأنها هي النجاة من عذاب الآخرة قد أسرف في اللهو والعبث، وقد أوكل الأمر وتركه للإمام علي عليه السلام ليخلصه من ورطته والعقوبات التي يستحقها، وكيف لا وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة» وكذلك، «حب علي جُنّة من النار» وفي الحقيقة إنّ هذه الأحاديث لا تعني الدعوة إلى العمل غير الصالح، لأن ولاية أمير المؤمنين كفيلة برفع العقاب، ولكن موالاته وحبه مرتبة ايمانية عالية لا يرقىٰ إليها إلاّ المؤمنون الذين هداهم الله تعالى.

الشاهد البلاغي: «التخلص»

في علم البديع فنّ من قسم الفنون المعنوية يسمى «التخلص»، وهو عبارة عن الانتقال من الغرض الذي بدأ المتكلم به في أول كلامه إلى غرضه المقصود، إذْ غالباً ما يحاول المتكلم أن يمهد لغرضه بمقدمة كالمقدمة الطللية التي يبدأ قصيدته بذكر الديار والأطلال وذكرياته فيها مثل ما لدى الشعراء الجاهليين مثلاً تمهيداً للدخول إلى غرضه الأساس من مدح أو رثاء أو حماسة إلى غير ذلك، وهذا الانتقال إذا كان جيداً ومقبولاً لدى البلغاء والأدباء والمتذوقين يسمى «تخلصاً»، أي التخلص من المقدمة إلى الموضوع الأساس من دون أن يشعر الآخر، وكأنّ المعاني قد تدفقت بشكل منسجم وجميل، . مثل قول السيد في هذا البيت: سودت صحيفة أعمالي . . .

فإنّه قد تخلص من معاني التشبيب والدعوة إلى اللهو والغناء وغير ذلك، إلى مدح أمير المؤمنين عليه السلام وكونه هو الذي سيشفع كل هذه الخطايا والاثام.

* * *

٢٧ ـ هُـوَ كَهْفِـي مِـنْ نُـوَبِ الْـدُنْيَـا وَشَفِيعِـي فِـي يَـوْمِ المحشـر

شرح المفردات:

الكهف: المغارة في الجبل.

نوب: جمع نائبة وهي المصيبة.

الشفيع: الواسطة في قضاء الحاجة.

يوم الحشر: الآخرة والقيامة.

شرح البيت:

يقول الشاعر: إن حب الإمام علي يحفظ الإنسان من مصائب الدنيا، ويدفع عنه البلاء فيها، فهو كالكهف الذي يلتجىء إليه الإنسان من شرور الطبيعة وأحداثها.

وكذلك بالنسبة للآخرة، فإن الإمام علي عليه السلام هو شفيعي إلى الله لرفع العقوبات التي استحقها جزاء ما اكتسبت يداي في الحياة الدنيا من خطايا وآثام. وقد ثبتت شفاعة أمير المؤمنين وأهل البيت عند الخاص والعام، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني لأُشفَّع يوم القيامة فأشفع، ويشفَّعُ علي فيشفع ويشفع أهل بيتي فيشفعون) وقال الإمام الصادق عليه السلام «والله لنشفعنّ لشيعتنا، والله لنشفعنّ لشيعتنا، والله لنشفعنّ لشيعتنا».

الشاهد البلاغي: «التشبيه البليغ»

«التشبيه البليغ» وهو التشبيه الذي حذفت أداته وحُذِفَ وجه الشبه منه كذلك، وسمي بليغاً لأنه يوهم في أن المشبه تداخل في المشبه به واستوى

واندمج معه، كقول الشاعر المرقَّش الأكبر:

النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكفّ عَنَمْ

فقد شبه النشر بالمسك وحذف أداة الشبه ووجه الشبه فكأنه قال: النشر كالمسك في طيب رائحته، وكذا الوجوه كالدنيانير في بهائها وحسنها واستدارتها، وأطراف أكفّها أي أناملها كالعنم [نبات احمر اللون] في الحمرة.

وقد حذف الشاعر كما يلاحظ هنا كلاً من وجه الشبه وأداة التشبيه فسمي هذا اللون من التشبيه بالتشبيه البليغ، وكذا بيت الشاعر:

هو كهفي من نوب الدنيا... إلخ.

فإنه شبه الإمام علياً عليه السلام بأنه كالكهف الذي يحتمي به من نوب الدنيا، وقد حذف أداة الشبه، وكذا وجه التشبيه، وهو الاحتماء من مكاره الدهر، فكما يحمي الكهف من يأوي إليه فإن التمسك بالإمام يحمي من شرور الدهر وطوارق الأيام وهذا هو ما يسمى بالتشبيه البليغ.

* * *

٢٨ ـ قَـدْ تمَّـتْ لـيّ بِـوِلايَتِـهِ نِعَـمٌ جمَّـتْ عَـنْ أنْ تُشْكَـرْ

شرح المفردات:

نِعَمَ: جمع نعمة، وهي الصنيعة وعمل الخير.

شرح البيت:

يقول الشاعر: لقد حصلتُ لي من جراء موالاة أمير المؤمنين عليه السلام نعمٌ وأفضال وألطاف، لا يسع شكرها لكثرتها وعظمتها، وولاية أمير المؤمنين هي أعظم نعمة على المؤمنين، وبها اكتمل دين الاسلام وذلك كما جاء في القرآن الكريم ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا**﴾ سورة المائدة، الآية(٣).، وولاية علي عليه السلام هي كما يقول الشاعر:

مـواهـب الله عنـدي جـاوزت أملـي وليـس يبلغهـا قـولـي ولا عملـي
لكـن أشـرفهـا عنـدي وأفضلهـا ولايتـي لأميـر المـؤمنيـن علـي

* وفي الحديث القدسي (ولاية علي بن أبي طالب حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي).

الشاهد البلاغي: (الفصل ـ شبه كمال الاتصال)

ذكرنا في البيت الثامن أنواع الفصل، وشرحنا ما يسمىٰ: بـ«كمال الانقطاع»، وذكرنا أن الفصل هو ترك الوصل بين جملتين بالواو، وذكرنا أن من جملة أقسام الفصل ما يسمى بـ«شبه كمال الإتصال» وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالاولى لكونها تقع بمثابة عن سؤال كقوله تعالى: ﴿**وما ابرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ سورة يوسف، الآية(٥٣). فكأن

سائلاً سأل لماذا لا تبرىء نفسك يا نبي الله (يا يوسف)؟ فجاء الجواب (إن النفس لأمارة بالسوء)، وكذا بيت الكوثرية:

قـــد تمـــت لـــي بـــولايتـــه نعـــم جمّـــتْ عـــن أن تشكـــر

فإنه لم يصل جملة الشطر الثاني بالأولى بالواو، وهي قوية الصلة بها، كونها تقع بمثابة جواب عن سؤال... كيف هي النعم؟

فأجاب بأنها جمت عن أن تشكر وهذا ما يسمىٰ بالبلاغة «شبه كمال الإتصال». وفي البيت جناس غير تام بين (تمت وجمّت).

***

٢٩ ـ لأصِيْبَ بِهَا الحظَّ الأوفى وأُخَصَّصَ بِالسَّهْمِ الأوْفَرْ

شرح المفردات:

أصيب: أي أحصل وأنال.

الحظ: النصيب والمنزلة.

الأوفى: الكثير..

السهم الأوفر: النصيب التام.

شرح البيت:

يقول الشاعر: لقد واليت أمير المؤمنين عليه السلام لأنه هو الذي التجىء إليه من نوب الدنيا وعذاب الآخرة، وولايته هي مدعاة حصولي على أفضل الهبات الربانية والعطايا الإلهية سواء في الدنيا أو الآخرة، وأنه بركة في الدنيا وأمان في الآخرة.

شرح الشاهد البلاغي: (الجناس اللاحق)

ذكرنا أنّ من الجناس الناقص ما يكون الاختلاف فيه في حرفين لم يتباعدا مخرجاً وذكرنا أن البلاغيين يسمونه الجناس المضارع، أما إذا كان الاختلاف في حرفين متباعدي المخرج فإنهم سمّوا ذلك **بالجناس اللاحق** وهو كالجناس المضارع، يكون في الأول والوسط والأخير، ففي الأول كقوله تعالى ﴿**ويلٌ لكلِّ همزةٍ لمزة**﴾ سورة الهمزة، الآية(١). فالهاء بعيدة المخرج عن لام لمزة، وفي الوسط كقوله تعالى ﴿**وإنه على ذلك لشهيد وانه لحبِّ الخير لشديد**﴾ سورة العاديات، الآية(٧ ـ ٨). فالهاء لشهيد يبعد

مخرجها عن الدال لشديد، وفي الأخير كما في الكوثرية: لا صيب بها الحظ الأوفى...

فإن الشاعر قد جانس بين (الأوفى) و(الأوفر) وقد أبدل حرف الألف المقصورة بالراء كما يلاحظ وهما متباعدا المخرج، والبلغاء يسمون هذا النوع من الجناس بالجناس اللاحق وهو ما يقابل الجناس المضارع، الذي تتقارب فيه مخارج أصوات الحروف.

* * *

٣٠ ـ بِـالحِفْـظِ مِـنَ النَّـارِ الْكُبْـرىٰ وَالأمْـنِ مِـنَ الْفَـزَعِ الأكْبَـرْ

شرح المفردات:

الفزع الأكبر: يوم القيامة.

شرح البيت:

إنّ السهم الأوفر والحظ الأوفى الذي يريد إصابته الشاعر بموالاة أمير المؤمنين (ع) هو للحفظ من عذاب جهنم وأهوالها، وكي يكون في مأمن من ذلك اليوم المفزع الذي تقوم الناس فيه لرب العالمين، يوم الحساب العسير.

الشاهد البلاغي: (طباق الايجاب)

من أشهر المحسنات المعنوية بلْ لعلّه أشهرها على الاطلاق ما يعرف بالمطابقة أو الطباق والتضاد أيضاً، ويراد به الجمع بين متضادين في المعنى عند الكلام.

والطباق يقسم إلى: طباق ايجاب، وطباق سلب، وطباق الإيجاب يكون إما بلفظين من نوع واحد كأن يكونا اسمين أو فعلين أو حرفين، أو يكون بلفظين من نوعين، كأن يكونا من فعل واسم مثلاً.

أما طباق السلب: فهو الجمع بين فعلي مصدر: واحد مثبت والآخر منفيّ، أو: أمر ونهي... وبأمثلة لما سبق:

طباق الايجاب:

كقوله تعالى: ﴿**وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود**﴾ سورة الكهف،

الآية(١٨). فقد طابق بين الاسمين: أيقاظاً وبين رقود.

طباق السلب: كقول الشاعر:

ولقد عرفتُ وما عرفتُ حقيقةً ولقد جهلتُ، وما جَهِلتُ خُمولا

فقد طابق طباق سلب بين: (عرفتُ، وما عرفت) وبين: (جهلت، وما جهلت)، وكذا بيت الكوثرية:

بالحفظ من النار الكبرى والأمن من الفزع الأكبر

فقد طابق بين (الأمن والفزع) وهو من طباق الإيجاب.

***

٣١ ـ هَـلْ يَمْنَعُنِـيْ وَهـوَ السَّـاقِـي أَنْ أشـرَبَ مِـنْ حَـوْضِ الْكَـوْثَـرْ

شرح المفردات:

الحوض: مجمع الماء.

الكوثر: المراد به هنا نهر في الجنة.

شرح البيت:

مما يرجو حصوله الشاعر جزاء حبه لأمير المؤمنين عليه السلام هو الشرب من ماء الكوثر، وماء الكوثر هو نهر في الجنة، يقف عليه أمير المؤمنين فيسقي محبيه ويمنع المعاندين والحاقدين والمبغضين له ولأهل البيت عليهم السلام، وهو أمرٌ يعتقد به جميع المسلمين، وفي ذلك أحاديث كثيرة منها قول الرسول(ص) للإمام علي(ع) «يا عليّ الكوثر نهر يجري تحت عرش الله، ماؤه أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل وألين من الزبرجد والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر.. ثم ضرب على جنب علي وقال: إن هذا النهر لي ولك ولمحبيك».

وفي هذا يقول السيد الحميري:

والحـوض حـوض محمـد ووصيّـه يسقـي محبيـه ويمنعـه العـدا

فالشاعر يستبعد ألّا يُسقى من ماء الكوثر لأن أمير المؤمنين هو الذي يسقي محبيه، والشاعر من جملة محبيه..

الشاهد البلاغي: (الإعتراض)

«الإعتراض» من ألوان الأطناب، ويقصد به أن يؤتى في أثناء الكلام

بجملة أو أكثر بين الكلام المتصل، وهذه الجملة الاعتراضية تكون عادةً لا محل لها من الإعراب، ويفيد اتيانها بهذه الكيفية أغراضاً عدّة يرمي إليها المتكلم أو الكاتب منها «التنزيه» كما في قوله تعالى ﴿**ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون**﴾ سورة النحل، الآية(٥٧). فورود «سبحانه» هنا يفيد تنزيه الباري جل وعلا عن إفتراء أولئك الكفار. ومنها «الدعاء» كما تقول لصديقك مثلاً: إني ـ عافاك الله ـ مريض. فعافاك الله، جملة اعتراضية تفيد الدعاء لا محل لها من الإعراب. ومن الأغراض الأخرى «الاستعطاف» كقول الشاعر:

وخفـــوق قلـــب لـــو رأيـــتِ لهيبـــه ـ يـــا جنتـــي ـ لـــرأيـــتِ فيـــه جهنمـــا

فالنداء هنا اعتراض بين الكلام، وقد أفاد الاستعطاف، وكذا مما يفيد الاستعطاف بيت الكوثرية:

هـــل يمنعنـــي ـ وهـــو الســـاقـــي ـ أن أشـــــــــرب... إلـــــــخ

فجملة (هو الساقي) هنا يمكن أن تكون اعتراضية بين الكلام: إذ أصل الكلام هل يمنعني أن أشرب من ماء الكوثر؟ ولكنه أراد الاستعطاف فجاء بجملة: وهو الساقي.

* * *

٣٢ ـ أَمْ يَطْـرُدُنـي عَـنْ مَـائـدَةٍ وُضِعَـتْ لِلْقَـانِـعِ وَالمُعْتَـر

شرح المفردات:

القانع: هو الفقير أو السائل الذي يرضى بما أعطيته ولا يلحّ في السؤال.

المعتر: هو الفقير المعترض للمعروف من غير أن يَسأل.

شرح البيت:

بعد أنْ استبعد الشاعر في البيت السابق عدم شربه من ماء الكوثر، لأنه يوالي أمير المؤمنين، وأن أمير المؤمنين لا يسقي سوى محبيه ومواليه وهو من أحدهم رغم ذنوبه ـ أي الشاعر ـ وآثامه وخطاياه، فحبّه لأمير المؤمنين عليه السلام كافٍ في دخول الجنة وشرب ماء الكوثر، وكذا فهو يستبعد ألا ينال الجزاء الأوفى في ذلك، وكيف لا ينال وأمير المؤمنين قد بسط كفيه لجميع محبيه بلا استثناء ولا أدلّ على ذلك أن مائدته قد كانت معدة لكل سائل وفقير ومحتاج عملاً بقوله تعالى: ﴿**واطعموا القانع والمعتر**﴾ سورة الحج، الآية(٣٦). فكيف يطرد من والاه وآمن بولايته واعتقد به إماماً للمؤمنين وخليفةً للمسلمين وحجةً لله على الخلائق؟، إن الشاعر يستبعد ذلك وهو متأكد من أنه سيشرب من حوض الكوثر أي يدخل الجنة وينال شفاعة أمير المؤمنين عليه السلام لأنه من محبيه.

الشاهد البلاغي: (الاستفهام ـ الانكار)

الاستفهام اصلاً هو طلب العلم بالمجهول، ولكن قد تفيد صيغ الاستفهام اغراضاً أُخرى كالتعظيم كما في قوله تعالى ﴿**من ذا الذي يشفع**

عنده إلا بإذنه﴾ سورة البقرة، الآية(٢٥٥). والتعجب كقوله تعالى حكاية على لسان الكفار ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ سورة الفرقان، الآية(٧). وكالاستعباد كقوله تعالى ﴿أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾ سورة الدخان، الآية(١٣). وكالنفي كقوله تعالى ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ سورة الرحمٰن، الآية(٦٠). وهناك أغراض كثيرة أخرى يفيدها أسلوب الإستفهام مثل الإنكار، والانكار إذا وقع في الاثبات يجعله نفياً، وإذا وقع في النفي يجعله إثباتاً كقوله تعالى ﴿أغير الله تدعون﴾ سورة الأنعام، الآية(٤٠).

وكذا في بيت الكوثرية: أم يطردني عن مائدة. . . . الخ.

أي لا يطردني عن تلك المائدة، لاسيما وأنها قد أعدت للجميع.

* * *

٣٣ - يَـا مَـنْ أنكَـرَ مِـنْ آيَـا تِ أبـي حَسَـنٍ مَـا لا ينكَـرْ

شرح المفردات:

الآيات: جمع آية، وهي الدليل والعلاقة والحجة.

أبي حسن: هو الإمام علي أبو الإمام الحسن عليه السلام.

شرح البيت:

من البيت السابق يكون الشاعر قد أنهى كلامه وتوسله بأمير المؤمنين لكي يجعله من محبيه وشيعته حتى ينال بذلك الجنة ويأمن عذاب الآخرة، بعد كل إسرافه الذي عرض له في الأبيات السابقة.

وفي هذا البيت والأبيات التي تليه، سيتوجه الشاعر بالخطاب إلى اولئك الضالين والحاقدين والجاحدين لولاية أمير المؤمنين، وأنه أفضل الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وإنما جحدوا حقه وابتزوه واغتصبوه حقداً وحسداً وجهلاً بمقامه الحقيقي من الله تعالى، فهنا بدأ الشاعر بتوجيه خطابه إلى من ينكر دلائل إمامة أمير المؤمنين وتفضيله على جميع أصحاب رسول الله. وسيأتي فيه الكلام في الأبيات الآتية.

الشاهد البلاغي: (النداء ـ الزجر)

ذكرنا في شاهد البيت العاشر: أن النداء هو طلب الانتباه من المخاطب. وذكرنا أنه قد تخرج ألفاظ النداء بحسب معانيها الاصلية إلى معانٍ أخر، كالتعجب والندبة، والتضجر، والإغراء، والإختصاص، وكذلك قد يخرج النداء إلى غرض الزجر كما في قول الشاعر:

أفـؤادي متـى المتـاب ألمـا تصـحُ والشيـب فـوق رأسـي ألمّـا

فإنه يزجر نفسه لأنه ما يزال يلهو ويتبع هوى قلبه ولم يتب رغم أن عمره قد أصبح كبيراً لا يتلاءم وسلوك طريق الهوى والعشاق. . . وكذا في بيت الكوثرية:

يا مَنْ قد أنكر من آيات. . . الخ.

فإنّ النداء هنا قد خرج من طلب الانتباه من المخاطب الذي أنكر فضائل أمير المؤمنين لجهله وعدم ادراكه بحقائق الأمور، إلى غرض آخر وهو «الزجر»، فالشاعر أراد بالنداء هنا زجر هذا المنكر لولاية أمير المؤمنين وأفضليته على سائر البشر بعد النبي ﷺ.

وفي البيت طباق بين (أنكر، ما لا ينكر)، وهو طباق السلب.

٣٤ ـ إنّ كُنْـــتَ لِجَهْلِـــكَ بِـــالأبـــا مِ جَحَـــدْتَ مَقَـــام أبـــي شُبَّـــر

شرح المفردات:

جحدت: أنكرت مع العلم.

المقام: الموضع والمنزلة.

ابي شبر: هو اسم الإمام الحسن عليه السلام في الكتب السماوية القديمة، وأبو شبر هو الإمام علي عليه السلام وشبير هو الإمام الحسين عليه السلام.

شرح البيت:

ينادي الشاعر ذلك الجاحد لمقام أبي الحسن عليه السلام، إن كان جاهلاً بالأيام وأخبارها وما جرى فيها من أحداث أثبتت شجاعة وبأس وصلابة مولانا أمير المؤمنين(ع)، وهذا الجحود ما هو إلاّ للجهل بالتاريخ وما فيه...

و«إنْ» شرطية وسيأتي جوابها في البيت الآتي.

الشاهد البلاغي: (المجاز اللغوي)

سيأتي في البيت(٤٤) الحديث عن الحقيقة والمجاز، وأن المراد بالحقيقة هو استعمال اللفظ في ما وضع له أصلاً، وأما إذا استعمل اللفظ في غير ما وُضِعَ له في اللغة أصلاً فإن هذا الاستعمال يسمى مجازياً وهو على قسمين: إما مجاز لغوي أو مجاز عقلي، هذا فيما إذا لم تكن العلاقة بين معنى اللفظ الأصلي والمعنى المنقول إليه علاقة مشابهة وإلا درس الموضوع بعنوان الاستعارة التي هي غير هذا.

ومن المجاز المرسل اللغوي هو قول الشاعر في كوثريته:

إن كنت لجهلك بالأيام جحدت . . . الخ.

فإنه عبر عن أحداث الزمان والتاريخ بالأيام لأنها وقعت فيها، فكأنه أراد أن يقول: إن كنت لجهلك بأحداث الأيام وأخبارها قد جحدت مقام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ورد ذلك في كثير من أساليب البلغاء كما في قوله تعالى ﴿واسأل القرية﴾ سورة يوسف، الآية(٨٢). واسأل أهل القرية، فإنه ليس من المعقول أن يسأل إنسان القرية كما هي مثلاً بجدرانها وبساتينها وأمتعتها . . . الخ، ولكن المقصود أهل القرية كما هو بيّن.

* * *

٣٥ ـ فَـاسْـأَلْ بَـدراً وَاسْـأَلْ أُحُـداً وَسَـلِ الأَحْـزَابَ وَسَـلْ خَيْـبَرْ

شرح المفردات:

بدر: هي أوّل معركة بين المسلمين والمشركين قرب بئر يسمى بدر، انتصر فيها المسلمون.

احد: المعركة الثانية حدثت عند جبل أُحد، استشهد فيها كثير من المسلمين.

الأحزاب: معركة عظيمة بعد معركة أحد، تألبت فيها جيوش المشركين جميعاً ضد المسلمين.

خيبر: هي معركة بين المسلمين ويهود خيبر.

وكل هذه المعارك شهدت للإمام علي عليه السلام ببطولته وشجاعته.

شرح البيت:

البيت هو جواب الشرط الذي تقدم في البيت السابق، فالشاعر يقول لهذا الجاحد، إذا كان جحودك لمقام أمير المؤمنين، وأفضليته على الناس بعد الرسول، وأنه هو الذي يستحق الخلافة فاسأل عما جرى في مواقع المعارك، فإن الإمام علياً(ع) كان لسيفه فيها الموقف الفصل، وهو الذي بشجاعته وقوة ايمانه وثباته هزم جيوش الشرك والكفار والمنافقين، ولولا سيفه في مواقف كثيرة لانهزم المسلمون وانهدم ركن الدين وهو لم يزل في بداية نشأته، ولذلك يقال انتصر الإسلام بسيف (ذي الفقار) وهو سيف الإمام علي(ع).

وهو الذي حطم أنف الكفر بقتله لرؤوس الشرك من جيش قريش، فكسر بذلك شوكتهم وزعزع معنوياتهم، وبالمقابل فقد عزز من ثقة المسلمين بالقتال وتحقيق النصر وهو ما حدث. وفي معركة أُحد والقصة معروفة حينما لم يبق مع النبي ﷺ غير القلة القليلة من أصحابه ـ أولهم أمير المؤمنين ـ الذين لولاهم لقتل الرسول ولانصرم حبل الإسلام، وأما في الأحزاب فإنه استطاع أن يقتل أشجع فرسان الكفار وهو عمر بن ودّ العامريّ، فحطم معنويات الكفار وقد كانوا أكثر من عشرة آلاف مقاتل جاؤوا للقضاء المبرم على الإسلام، وفي معركة خيبر حينما تحصن اليهود في حصنهم فتقدم أمير المؤمنين وقلع باب خيبر ودخل المسلمون الحصن، ولذا كان الرسول لا يعطي الراية إلا للإمام علي عليه السلام، لأن الآخرين كانوا يتململون في تلك المواقف الصعبة، وهو أمر يقرُّ به جميع الناس.

الشاهد البلاغي: (الأمر ـ الايجاب والالزام)

ذكرنا فيما سبق أن صيغ الأمر قد تخرج عن غرضها الأصلي، وهو «الايجاب والإلزام» إلى معانٍ أخرى، كالتسوية والاكرام والتمني والتكوين والتأديب ومن ذلك الإهانة، فإن صيغ الأمر قد تخرج إلى غرض الإهانة، كما في قوله تعالى ﴿كونوا حجارةً أو حديداً﴾ سورة الاسراء، الآية(٥٠). فصيغة الأمر هنا هو فعل الأمر، وقد خرج عن الغرض الأصلي وهو الإلزام والإيجاب من الله تبارك وتعالى إذ لم يرد بأمره إياهم أن يكونوا حجارة أو حديداً، لاسيما وإن ذلك خارج عن إرادتهم، وليس المقصود به التكوين أيضاً، أي أنه لم يُردّ أن يحولهم إلى حجر وحديد، وإلا لتحولّوا بأمره وقوته ولكنه أراد إهانتهم، فقال للرسول ﷺ ـ والخطاب موجه إليه ـ قل يا محمد هؤلاء الذين جحدوا وانكروا البعث

واليوم الآخر ـ مما يدل عليه سياق الآيات ـ : كونوا حجارة أو حديداً، إهانة لهم.

* * *

٣٦ ـ مَـنْ دَبَّـرَ فِيْهَـا الأمـرَ وَمَـنْ أَرْدَىٰ الأبطَـالَ وَمَـنْ دَمَّـرْ

شرح المفردات:

أردىٰ: أي قتل.

دمّر: أهلك.

شرح البيت:

إن الشاعر في هذا البيت يقول لذلك الجاهل بمقام الإمام علي عليه السلام: أن يسأل عن مواقع المعارك، وعن الذي كانت له المنزلة الأولى لتقدم صفوف المسلمين ومقاتلته شجعان العرب وصناديد الكفار كعمرو بن ودّ العامري في الأحزاب، ومرحب في خيبر وطلحة ابن ابي طلحة العدوي صاحب لواء قريش وكبش كتيبتها في بدر.

فإن الإمام علياً عليه السلام هو الذي كان أمام الصفوف يقاتل دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، كرّاراً غير فرارٍ، كما يصفه الرسول(ص).

الشاهد البلاغي: (إئتلاف اللفظ مع المعنى)

تتجلى مهارة الأديب في ألوان عديدة وصور بلاغية شتى، بعضها يتعلق باللفظ وبعضها بالمعنى الذي يأتي به في شعره أو نثره، ومن تلك الاساليب التي تدل على براعة الأديب البليغ هو ما يسمى في علم البديع بـ (إئتلاف اللفظ مع المعنى)، وذلك كون الالفاظ موافقة للمعاني، فإذا كان الشعر في معاني الغزل تخير الشاعر العبارات ذات الالفاظ الرقيقة والجرس الموسيقي الراقص العذب لها، وإذا كان الموضوع مثلاً في الرثاء، تخير أن تكون ألفاظها ذات جرس موسيقي حزين وإذا كان لاظهار البطولة والشجاعة

تخير الالفاظ الجزلة والعبارات المسبوكة وهكذا. وفي بيت الكوثرية: من دبّر فيها الأمر ومن... الخ.

نرى الشاعر حينما أراد أن يعبر عن شجاعة وبطولة أمير المؤمنين عليه السلام قد اختار الالفاظ التي تنهض بهذا المعنى مثل (دمّر، دبر، الأمر، أردى) وكلها تحتوي على حرف الراء، وهو يساعد على إعطاء موسيقى انفجارية عالية، كذلك مثلاً كلمة (دبر) فإنها ذات جرس عالٍ جداً وكلمة (دمر)، فالدال والميم والراء والياء حروف ساعدت على ايجاد هذا الصوت الانفجاري في البيت الذي يتلاءم مع ذكر شجاعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

***

٣٧ ـ مَنْ هدَّ حُصُونَ الشركِ وَمَنْ شَادَ الإسلامَ وَمَنْ عَمَّرْ

شرح المفردات:

هدّ: كسر وضعضع وهدم.

حصون: الحصن هو البناء العالي الذي يُحتمى به، وكان لليهود في المدينة حصون خاصة بهم. وحصون الشرك مجاز أي قوة الكفار وإمكانياتهم.

شرح البيت:

ما زال الشاعر يستعرض مآثر أمير المؤمنين عليه السلام الحربية، وأنه هو الذي كان له الدور الأساس في انتصار المسلمين ورفع كلمتهم وهزم الكفار وتقويض حصونهم وإمكاناتهم المادية والمعنوية، من قتل الأبطال واحتلال حصونهم وإرغام أنوفهم على قبول الإسلام وإعلاء كلمة الحق والتوحيد والرسالة، فكيف يمكن أن يتجاهل كل هذا، ويجحد حقّ الإمام عليه السلام.

شرح الشاهد البلاغي: (طباق الايجاب)

تقدم في البيت «٣٠» الكلام في الطباق، وقلنا أنه يقسم إلى طباق الايجاب وطباق السلب، وذكرنا أن طباق الايجاب تارة يكون اللفظان المتضادان فيه من نوعٍ واحد، وقد مرّ المثال فيما لو كانا اسمين، وقد يكون التضاد فيما بين فعلين كقوله تعالى: ﴿**تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء**﴾ سورة آل عمران، الآية(٢٦). فقد طابق بين الأفعال (تؤتي وتنزع، وتعزّ وتذل).

وكذا في الكوثرية: من هدّ حصون الشرك ومن... الخ.

فقد طابق بين الفعل: (هدّ) والفعل: (شاد وعمّر)، وهذا الطباق هو طباق الايجاب.

* * *

٣٨ ـ مَـنْ قَـدَّمَـهُ طٰـهَ وَعَلـى أَهْـلِ الايمـانِ لَـهُ أَمَّـرْ

شرح المفردات:

قدّمه: أي فضّله.

طه: من أسماء الرسول محمد ﷺ.

أمّر: جعله أميراً عليهم.

شرح البيت:

يقول الشاعر: إن الرسول ﷺ قد فضّل أمير المؤمنين عليه السلام على من سواه من المؤمنين والمسلمين، وقد جعله أميراً عليهم، فقد فضّله في مواقع كثيرة جداً لاسيما في مواقع الحروب والقتال، فكان يعطي رايته للإمام علي عليه السلام، وفي ذلك تفضيل له عليه السلام على الآخرين، وكان يقول في معركة الخندق مثلاً: «لاعطين الراية غداً لرجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كرار غير فرار»، فلما كان الغد أعطاها لأمير المؤمنين عليه السلام دون الآخرين، ولما حدثت غزوة تبوك وهي الغزوة الوحيدة التي لم يشارك فيها الإمام عليه السلام، لأن الرسول أبقاه في المدينة خليفة له هناك، وقال له: «أما ترضى أن تكون منيّ بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، إذ كان الإمام يرغب في عدم البقاء ويريد الذهاب للقتال. وفي غدير خم حينما جمع الرسول جميع المسلمين بعد الحج، ورفع يد الإمام علي وصاح « من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

وهذا كله وغيره لم يكن يفعله الرسول مع احد من البشر سوى الإمام

علي عليه السلام ، وهو تفضيل له وتقديم على الآخرين فكيف يجحد الحاقد حقه؟ .

الشاهد البلاغي : (تشابه الأطراف)

من ألوان البديع المعنوية ما يسميه البلاغيون بـ (تشابه الأطراف) وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى كقوله تعالى :

﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾ سورة آل عمران، الآية(١٠٣) والتناسب بين طرفي الآية هو من جهة أن من يُدرك شيئاً يكون خبيراً به . وكذا قول الشاعر :

ألـذّ مـن السحـر الحـلال حـديثُـهُ وأعـذبُ مِـنْ مـاء الغمـامـة ريقُـهُ

فإن الريق يناسب اللذة .

وقد قسم البعض تشابه الأطراف إلى : معنوي ولفظي، والمعنوي كالبيت السابق، فإن التشابه بين اللذة والريق بالمعنىٰ وليس باللفظ . واللفظي هو تكرار الكلمة التي وقعت في آخر الشطر الأول من الشعر أو الجملة من النثر، فيبدأ بها المصراع الثاني أو الجملة التالية، ففي النثر كقوله تعالى ﴿. . . **مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دريّ**. . .﴾ سورة النور، الآية(٣٥). تكررت لفظة المصباح ولفظة الزجاجة في نهاية الجملة الأولىٰ وبداية الجملة الثانية .

وفي الشعر مثل قول أبي تمام :

هـوىً كـان خلسـاً إنّ مـن أبـرد الهـوى هـوىً جِلْـتُ فـي افيـائـه وهـو خـامـلُ

فهوىً تكررت في بداية الشطر الثاني .

والثاني أن يعيد الشاعر لفظة القافية في أول البيت الذي يليه مثل :

رمتنـــي وستـــر الله بينـــي وبينهـــا عشيـــــة آرام الكنـــــاس رميـــــم
رميـــم التـــي قـــالـــت لجيـــران بيتهـــا ضمنـــــت لكـــــم ألا يـــــزال يهيـــــم

وكذلك بيت الشاعر في كوثريته: فإنه قد استخدم هذا اللون من البديع المعنوي في قوله:

مَن قدمه طه وعلىٰ. . . الخ.

فإن آخر كلامه وهو لفظ (أمّر)، يشابه أول كلامه وهو (قدمه) تشابهاً معنـويـاً، وهـو مـا مثلنـا لـه فـي أول الصفحـة فـي بيـت: ألـذ مـن السحـر الحلال. . .

* * *

٣٩ ـ قَـاسُـوكَ أبَـا حَسَـنٍ بِسِـوَا كَ وَهَـلْ بِـالْطَـودِ يُقَـاسُ الـذرْ

شرح المفردات:

بسواك: أي بغيرك من الآخرين.

الطود: الجبل العظيم.

الذّرْ: صغار النمل.

شرح البيت:

إن الشاعر متألم لجحود مقام أبي الحسن عليه السلام، وتألمه هذا رفعه إلى مستوى مخاطبة أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، وكأنه يشكو إليه من هذا القياس الباطل المؤلم الذي يضع الإمام مع غيره في مكان واحد، وذلك كمن يريد أنْ يجعل الطود أي الجبل مساوياً للنمل، وهذا بهتان وجهل وإفك، والقياس واضح البطلان والتهافت لذلك.

الشاهد البلاغي: (التشبيه الضمني)

قد يفهم التشبه من المعنى، من دون أن يوضع المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به من خلال المعنى، ويكون المشبه به عادة على صورة برهان إلى إمكان ما أسند إلى المشبه: كقول أبي الطيب المتنبي:

فـإن تفـق الأنـام وأنـت منهـم فـإن المسـك بعـض دم الغـزال

فإنه لم يشبه صراحةً بين الممدوح في تفوقه على الأنام بالمسك في تفوقه على دم الغزال، وإن كان كلا الأمرين منهما، ولكن فهمنا هذا التشبيه من المعنى، أي ضمناً لا

صراحةً ولذا سُمِّي بالتشبيه الضمني.

وكذا في قول الشاعر المتنبي كذلك:

مـــن يهـــنْ يسهـــل الهـــوانُ عليـــه مـــــا لِجـــــرحٍ بميِّـــــتٍ إيـــــلامُ

فإنه قد شبه سهولة الهوان على الإنسان الموهن أو الوهن بالجرح الذي هو في الميت، وكما لا يؤثر بالميت الجرح فيما لو جرح فكذا لا يتأثر الإنسان الذي اعتاد الهوان.

وكذا بيت الكوثرية:

قاسوك أبا حسن بسواك وهل...؟

فإننا نفهم من خلال المعنى تشبيهاً ضمنياً بين قياس الجاهلين لمنزلة الإمام علي عليه السلام بغيره من الناس في عدم صحته وإن كان هو عليه السلام بشراً، ولكن ذلك كمن يقيس الذر بالطود وإن كان منه برهاناً على بطلان القياس.

* * *

٤٠ ـ أنّـــى ســـاوَوْكَ بمـــن نـــاوَوْك وهـــل ســـاوَوْ نعلـــي قنبـــرْ

شرح المفردات:

أنىٰ: كيف.

ناووك: عادوك.

قنبر: خادم الإمام(ع).

شرح البيت:

الشاعر يتحدث للإمام، يقول له: كيف جعل الجاحدون منزلتك ومنزلة أعدائك واحدة؟ والواقع إن أعداءك ليس فقط لا يساوونك في المنزلة، بل هم لا يساوون حتى نعلي قنبر خادمك، وهو الحقّ، فهم منافقون وجاحدون، وقنبر من جملة المؤمنين المخلصين للاسلام، فنعله أشرف وأعظم وأكرم من أعدائك.

الشاهد البلاغي: (التعجب، التحقير)

مرّ في البيت(٣٢) الحديث عن الاستفهام الذي هو من مباحث علم المعاني، وذكرنا أنه يفيد ـ بالأصل ـ طلب العلم بالمجهول وأنه قد تخرج أساليب الاستفهام عن معناها الأصلي إلى معانٍ متعددة، كالاستنباط، والتنبيه على الباطل، والتحسر، والتنبيه على ضلال الطريق، والانكار والتشويق، والتقرير، والتعظيم وغيرها، ومن تلك الاغراض هو غرض التعجب كما في قوله تعالى حكاية على لسان المشركين: ﴿... **ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق**...﴾ سورة الفرقان، الآية(٧). فالاستفهام هنا لم يكن لطلب العلم بالمجهول وإنما لاظهار تعجبهم من أن

الله كيف يبعث نبياً بشراً مثلهم يأكل ويمشي وغير ذلك من صفات الآدميين، التي هي في شخص الرسول ﷺ.

وكذا بيت الشاعر في الكوثرية:

أنّى ساووك بمن ناووك وهل... إلخ!

فلعلّ الشاعر قد أراد إظهار تعجبه من مساواة البعض بالإمام علي عليه السلام بأعدائه، واستفهم ثانية بقوله (وهل ساوَوْا نَعليْ قنبر؟)، ولعله أراد بالاستفهام الثاني هو التحقير.

أما الكلام عن ألفاظ الاستفهام فسيأتي في البيت الآتي.

وفي البيت مقابلة بين الطود والجبل.

* * *

٤١ ـ مَـنْ غَيْـرُكَ مَـنْ يُـدْعَـىٰ لِلْحَـرْ بِ وَلِلْمِحْـــــرَابِ وَلِلْمِنْبَـــــرْ

شرح المفردات:

المحراب: هو صدر المجلس، والمراد به هنا هو محراب المسجد الذي هو لصلاة الإمام.

المنبر: هو الشيء المرتفع، وبرواية هنا: هو الأعواد التي يقف عليها الخطيب.

شرح البيت:

يقول الشاعر مؤكداً على بطلان مذهب من يساوي أمير المؤمنين بالآخرين، بأنه كيف تكون المساواة وهو عليه السلام قد عدم النظير له في الشجاعة والايمان والخطابة، فقد عنىٰ بالحرب الشجاعة والاقدام، وبالمحراب الإيمان والتقوى والانقطاع إلى الله تبارك وتعالى، وبالمنبر: الخطابة والعلم والبلاغة التي عرفت عنه عليه السلام، ومن آثار ذلك الكتاب البلاغي العظيم: نهج البلاغة.

شرح الشاهد البلاغي: (الاستفهام ـ التعظيم)

للاستفهام أدوات هي: (الهمزة، وهل) وهما حرفان (وما، ومتى)، وأيّان، وأين، وأنّى، وكم، وأي، وكيف، وهذه الأخيرة هي أسماء، وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى: وهو الهمزة.

٢ ـ ما يطلب به التصديق فقط، وهو: هل.

٣ ـ ما يطلب به التصور فقط، وهو باقي ألفاظ الاستفهام.

و(مَنْ) موضوعة للاستفهام، ويطلب بها تعيين أفراد العقلاء مثل: من حرّر البشر ؟ فالسؤال عن أفراد العقلاء؟، فمثلاً يكون الجواب: رسول الله(ص).

ومن الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام وعلى ما فصلناه سابقاً هو التعظيم كقوله تعالى ﴿. . . **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**. . .﴾ سورة البقرة، الآية(٢٥٥) فإنه قد خرج إلى غرض التعظيم: أي عظيم أن يشفع عنده احد إلا بإذنه، بمعنى آخر: لا أحد شفع عنده إلا بإذنه، وهو أمر عظيم.

وكذا بيت الكوثرية:

من غيرك من يدعي للحرب وللمحراب. . . الخ.

فإنه قد استفاد من هذا الاستفهام معنى التعظيم. أي: عظيم ادعاء احد أن غيرك يدعى للحرب وللمحراب وللمنبر، بل أنت وحدك الذي تُدعى بجميع ذلك وهو أمر عظيم.

* * *

٤٢ ـ أَفْعَـــالُ الخيـــر إذا انتَشَـــرتْ فـي النَّـاس فَـانْـتَ لَهـا مَصْـدَرْ

شرح المفردات:

انتَشرَت: نشر المتاع أي بسطه. وانتشرت: بمعنى بُسطت.

مصدر: أي أصل وأساس.

شرح البيت:

يقول الشاعر: إن أفعال الخير من الجود والسخاء والكرم ومعونة الناس وقضاء حوائجهم وغيرها من أفعال الخير التي يعرفها الناس أنت مصدرها، لأنك كنت النموذج الأمثل فيها، ففي السخاء مثلاً نزلت فيك آيات كثيرة منها حين تصدقك بالخاتم في الركوع ﴿. . . **ويؤتون الزكاة وهم راكعون**. . .﴾ سورة المائدة، الآية(٥٥) ومنها إطعامك للمسكين واليتيم، ﴿. . . **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**﴾ سورة الإنسان، الآية(٨ ـ ٩).

حتى أن معاوية قال: (لو كان لعلي بيتٌ من التبر وبيتٌ من التبن لقدم تبره قبل تبنه) إلى غير ذلك من أفعال الخير المعهودة من الإمام عليه السلام.

التبر: الذهب.

التبن: أكل الحيوانات.

الشاهد البلاغي: (المبالغة).

«المبالغة» مصطلح بديعيّ، ويراد به أن يبلغ المتكلم أو الكاتب في وصفه حداً يكون مستحيلاً أو مستبعداً، ويقع ذلك في أنواع ثلاثة:

١ ـ مبالغة.

٢ ـ إغراق.

٣ ـ غلو.

والفرق بين هذه الأقسام هو أن التبليغ هو ادعاء المتلكم في وصفه لشيء ما حداً من الضعف أو الشدة يكون عادة مقبولاً وممكناً عقلاً وعادة كقوله تعالى ﴿. . . **ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها**. . .﴾ سورة النور، الآية(٤٠). أما الإغراق فهو ما كان الوصف فيه مقبولاً عقلاً لا عادة كقول الشاعر:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا

أما الغلوّ فهو أن الوصف المدّعى للشيء لا يكون مقبولاً ولا ممكناً، لا عادة ولا عقلاً كقول الشاعر:

تكاد تصيبه من غير رام تمكن في قلوبهم النبالا

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن المبالغة كمصطلح بديعي يختلف عن المفهوم الشائع بين عامة الناس عن لفظ المبالغة، فإنهم دائماً يقصدون بالرجل المبالغ مثلاً أنه هو الإنسان الذي يأتي بأشياء مستحيلة الوقوع وكأنه يكذب، وهي هنا فنّ بديعي يلوّن الشاعر به كلامه ليزيده تقريراً في النفس وجمالاً وروعة كما في بيت الكوثرية:

افعال الخير إذا انتشرت في الناس. . . إلخ.

فإنه يبالغ في وصفه لصفات أمير المؤمنين، ولا نعني بالمبالغة هنا هو القسم الثالث أي مما يستحيل إمكانه عقلاً ولا عادة، أو من القسم الثاني الذي يمكن تحققه عقلاً لا عادة، بل هو من القسم الأول الذي يمكن تحققه

عقلاً وعادة، فإن أخلاق وصفات أمير المؤمنين أصبحت مصدراً وقدوةً للناس المؤمنين وطلاب الحق والحقيقة.

* * *

٤٣ ـ وَإِذَا ذُكِـــرَ المعـــرُوفُ فَمَـــا لِسِـــوَاكَ بِـــهِ شَـــيءٌ يُـــذْكَـــرْ

شرح المفردات:

المعروف: ضد المنكر، أي الشيء الحسن.

لسواك: أي لغيرك.

شرح البيت:

يؤكد الشاعر في هذا البيت على ما ذكره سابقاً من أن أمير المؤمنين هو مصدر كل خير وصلاح في المجتمع، وهنا يقول مادحاً الإمام علي عليه السلام: إن المعروف لا يمكن أن ينسب لسواك بل هو لك كله، فكيف يجحدك الجاحدون، والشاعر حينما يحصر المعروف بالإمام عليه السلام، إنما هو من باب الردّ على خصمائه، وتوكيداً لمكانته المرموقة في قلوب المؤمنين وتاريخ الإسلام.

الشاهد البلاغي: (السلب والايجاب)

من المحسنات المعنوية البديعية نوع يسمى بـ «السلب والايجاب»، وهو عبارة عن تخصيص شيء بصفة فينفيها المتكلم عن جميع الناس ويثبتها لممدوحه أو مهجوّه كقول الخنساء:

وما بلغتْ كفّ امرءٍ متناولاً من المجد إلاّ والذي نلت أطول

ولا بلغ المهدون للناس مدحة وإن اطنبوا إلا الذي فيك أفضل

فالخنساء قد اثبتت صفة المجد لممدوحها عن طريق نفيها عن كل الناس، وكذا فإن ممدوحها أفضل من كل المديح الذي يكالُ له وكذا بيت

الكوثرية :

وإذا ذكـــــر المعـــــروف فمـــــا لسواك به ..... الخ

فإنه قد ذكر صفة المعروف وأثبتها لممدوحه حين نفاها عن جميع الناس، أي سلبها عن الناس وأوجبها لممدوحه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو ما يقصد بالسلب والإيجاب .

* * *

٤٤ ـ أحْيَيْتَ الدِّيْنَ بِأبْيَضَ قَد أوْدَعْتَ بِهِ الموتَ الأحمرْ

شرح المفردات:

أبيض: من أسماء السيف. يشير إلى سيف الإمام علي عليه السلام ذي الفقار.

أودعت: أي تركت أو ضمنت.

شرح البيت:

يقول الشاعر مخاطباً الإمام: لقد احييت الدين بسيفك «ذو الفقار» الذي جعلت فيه الموت الأحمر، لكل من يريد أن يواجهك وقد شهدت المواقف لك بذلك، مما كان سبباً لاعزاز الإسلام وإعلاء كلمة الحق واندحار الباطل وجيوشه.

الشاهد البلاغي: (المجاز العقلي)

إذا استعمل الإنسان كلمة بمعناها الذي وضع لها في اللغة أصلاً. كان استعماله لها حقيقياً، وإما إذا استعملها لغير ما وضعت له في اللغة أصلاً فإن هذا الاستعمال يسمى مجازياً، ولهذا بحث علماء البيان هذا الموضوع تحت عنوان الحقيقة والمجاز، فمثلاً لو قال شخص أنبت الله الزرع، فإن هذا الاستعمال جاء على وجه الحقيقة، لأنّ الله تعالى هو الذي ينبتُ ويحيي ويميت، ولكن لو قال ذلك الشخص: انبت الربيع الزرع، فإن هذا الاستعمال في إسناد الانبات للربيع يعدّ مجازاً.

وإذا كان هذا الاستعمال المجازي لعلاقة مشابهة سمي هذا الاستعمال المجازي بالاستعارة، وإذا لم يكن كذلك كان من قبل ما يسمى بـ (المجاز

المرسل)، وقد قسم هذا المجاز بدوره إلى: المجاز اللغوي، وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له كقوله تعالى ﴿. . . **يجعلون أصابعهم في آذانهم**. . .﴾ سورة البقرة، الآية(١٩). أي أناملهم. . وإلى المجاز العقلي وهو: إسناد الفعل أو ما في معناه من اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة إلى غير ما هو له في الظاهر لعلاقة مع قرينة مانعة من أن يكون الاسناد إلى ما هو له كبيت الشاعر:

إنـــي لمـــن معشـــر أفنـــى أوائلهـــم قيـــل الكمـــاة ألا ايـــن المحـــامـــونـــا

فقد أسند الافناء إلى قيل الكماة وهو مجاز.

وكذا بيت الشاعر. . . احييت الدين بأ بيض. . . الخ.

فإنه اسند إحياء الدين إلى سيف أمير المؤمنين ذي الفقار، فكأنَّ الدين ميِّتٌ وقد أحياه الإمام عليه السلام بالسيف، والواقع أنه أراد أن يقول نصرتَ الاسلام بتضحياتك وشجاعتك وجهادك.

٤٤ ـ أحْيَيْتَ الدِّيْنَ بِأبْيَضَ قَد أوْدَعْتَ بِهِ الموتَ الأحمرْ

شرح المفردات:

أبيض: من أسماء السيف. يشير إلى سيف الإمام علي عليه السلام ذي الفقار.

أودعت: أي تركت أو ضمنت.

شرح البيت:

يقول الشاعر مخاطباً الإمام: لقد احييت الدين بسيفك «ذو الفقار» الذي جعلت فيه الموت الأحمر، لكل من يريد أن يواجهك وقد شهدت المواقف لك بذلك، مما كان سبباً لاعزاز الإسلام وإعلاء كلمة الحق واندحار الباطل وجيوشه.

الشاهد البلاغي: (المجاز العقلي)

إذا استعمل الإنسان كلمة بمعناها الذي وضع لها في اللغة أصلاً. كان استعماله لها حقيقياً، وإما إذا استعملها لغير ما وضعت له في اللغة أصلاً فإن هذا الاستعمال يسمى مجازياً، ولهذا بحث علماء البيان هذا الموضوع تحت عنوان الحقيقة والمجاز، فمثلاً لو قال شخص أنبت الله الزرع، فإن هذا الاستعمال جاء على وجه الحقيقة، لأنّ الله تعالى هو الذي ينبتُ ويحيي ويميت، ولكن لو قال ذلك الشخص: انبت الربيع الزرع، فإن هذا الاستعمال في إسناد الانبات للربيع يعدّ مجازاً.

وإذا كان هذا الاستعمال المجازي لعلاقة مشابهة سمي هذا الاستعمال المجازي بالاستعارة، وإذا لم يكن كذلك كان من قبل ما يسمى بـ (المجاز

المرسل)، وقد قسم هذا المجاز بدوره إلى: المجاز اللغوي، وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له كقوله تعالى ﴿... **يجعلون أصابعهم في آذانهم**...﴾ سورة البقرة، الآية(١٩). أي أناملهم.. وإلى المجاز العقلي وهو: إسناد الفعل أو ما في معناه من اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة إلى غير ما هو له في الظاهر لعلاقة مع قرينة مانعة من أن يكون الاسناد إلى ما هو له كبيت الشاعر:

إنـــي لمـــن معشـــر أفنـــى أوائلهـــم قيـــل الكمـــاة ألا ايـــن المحـــامـــونـــا

فقد أسند الافناء إلى قيل الكماة وهو مجاز.

وكذا بيت الشاعر... احييت الدين بأ بيض... الخ.

فإنه اسند إحياء الدين إلى سيف أمير المؤمنين ذي الفقار، فكأنَّ الدين ميِّتٌ وقد أحياه الإمام عليه السلام بالسيف، والواقع أنه أراد أن يقول نصرتَ الاسلام بتضحياتك وشجاعتك وجهادك.

٤٥ ـ قُطْبَاً لِلْحَرْبِ يُدِيْرُ ٱلضَرْب وَيجْلُو ٱلْكَرْب يِوْمِ ٱلْكَرّ

شرح المفردات:

قطباً: قطب الرحىٰ هو عودها الذي تحرك به، وقطب الحرب هو مدارها.

يجلو: أي يكشف ويُظهر.

الكرب: الغم الذي يأخذ بالنفس، والشدة.

الكر: الهجوم والاقدام.

شرح البيت:

لقد كان الإمام علي عليه السلام، مركزاً للحروب يفلق هامات الكفار والمنافقين ويدمر صفوفهم ويكر عليهم كرة الليث الهزبر، حتى تتجلىٰ المعركة ويكون المسلمون هم المنتصرون بفضل إقدام الإمام علي عليه السلام حتى لقب بالكرار.

يقول له أنت مركز الحرب وأنت في الحرب مثل قطب الرحىٰ، فلولاك لم تدُرِ الحرب، وبضرباتك التي لا تحتاج إلى ضربة ثانية انكسرت عزيمة الأعداء وتقوى جانب المسلمين، وإذا حل كرب واستعصىٰ أمرٌ فلا يجلوه إلا أنت، فأنت الذي ازحت الكرب عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في معركة أُحد، وعن المسلمين في معركة الإحزاب حيث ضاقت السبل، وبلغت القلوب الحناجر من الذعر والخوف.

الشاهد البلاغي: (التسميط):

من ألوان البديع المعنوية لون جميل يضفي موسيقىٰ أخاذة على البيت ويجذب لها السامع وهو ما يسمىٰ بـ (التسميط) وهو أن الشاعر يجعل بيته على أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد والقسم الأخير يختلف باختلاف القافية كما في هذا البيت:

وحـــرب وردت وثغـــر ســـددت وعلـــج شـــددت علبـــه الحبـــالا

فالقسم الأول (وحرب وردت) والثاني (وثغر سددت) والثالث (وعلج شددت) والرابع (عليه الحبالا)، ونلاحظ ان الأقسام الثلاثة الأولىٰ كانت تنتهي بحرف التاء في حين أن القافية كانت تختلف في القسم الرابع وهي حرف اللام.

وكذا في قول الشاعر:

فـي ثغـره لعـس، فـي خـده قبـس فـي قـدّه ميـس، فـي جسمـه تـرف

فإنه قسم بيته على أربعة أقسام، ثلاثة منها ينتهي بالسين وواحد بالفاء، ولنلاحظ بيت الكوثرية:

قطبـاً للحـرب يـديـر الضـرب ويجلـو الكـرب بيـوم الكـر

فإنه قسم بيته إلى أربعة أقسام، وجعل الثلاثة الأول منها تنتهي بحرف الباء، أما القسم الأخير فإنه ينتهي بحرف الراء وهو قافية البيت والقصيدة، ونلاحظ ان هذا التقسيم جميل، ذا إيقاع موسيقيّ أخاذ في البيت يستميل الاسماع إليه، وهو ما يسمىٰ بالتسميط كما ذكرنا

* * *

٤٦ ـ فَاصْدَعْ بِالأَمْرِ فَنَاصِرُكَ اَلْـ بَتَّارَ وَشَانِئُكَ الأَبْتَرُ

شرح المفردات:

اصدع: إجهر وتكلم وأظهِر.

الأمر: هنا بمعنى الدين الحق والولاية.

البتار: صفة للسيف أي القاطع.

شانئك: مبغضُكَ.

شرح البيت:

بعد أن استعرض الشاعر جملة من مناقب أمير المؤمنين، لا سيما الحربية منها، توجه بالطلب إلى الإمام علي عليه السلام ليصدع بحقه المغتصب، وهو الخلافة ما دام هو صاحب البتار (ذو الفقار) الذي جندل صناديد العرب وهزم فرسانهم.

الشاهد البلاغي: (الأمر ـ التمني):

إذا اشتمل الكلام على عدة أنواع من البديع كان ذلك يسمىٰ «بالابداع»، ولا يتأتىٰ ذلك إلا للقلة من الادباء المتفننين، وهو ما ميَّزهم عمن سواهم من أهل الفن والصنعة، وخير مثال لذلك هو قوله تعالىٰ: **﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾** سورة هود، الآية (٤٤). فرغم ان الآية تتكون من سبع عشرة لفظة فإنها تحتوي على اثنين وعشرين نوعاً بلاغياً وهو من اعجاز القرآن.

وكذا بيت الشاعر في الكوثرية:

فاصدع بالأمر فناصرك البتار وشانئك. . . الخ.

ففيه ان صيغة الأمر خرجت عن غرضها الأصلي إلى غرض التمني.

في البيت طباق: ناصرك وشانئك.

وفي البيت جناس غير تام بين: البتار والأبتر.

وفي البيت مقابلة بين (ناصرك البتار) وبين (شانئك الأبتر).

ولذا فهذا النوع يسمىٰ (بالإبداع).

* * *

٤٧ ـ لَوْ تُؤْمَرْ بِالصَّبْرْ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَلَيْتَكَ لَمْ تُؤْمَرْ

شرح المفردات:

كظم: ستر.

الغيظ: الغضب المكتوم.

شرح البيت:

يقول الشاعر مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام، انه لو لم يأمرك الله تعالىٰ على لسان نبيه صلى الله عليه وآله بالتزام الصبر وعدم المطالبة بحقك واخذه بالقوة، للمحافظة على شوكة الإسلام وبيضته واجتماع كلمة الأمة، والشاعر تأخذه الحماسة والعاطفة في أنه يتمنىٰ لو أن الإمام علياً عليه السلام لم يؤمر بالصبر لكي يأخذ حقه بالقوة ويتغير وجه التاريخ، ولكن لا شكَّ ان هذه عواطف جياشة، فالحكمة الالهية اقتضت الصبر وكظم الغيظ مما فعله أمير المؤمنين عليه السلام.

الشاهد البلاغي: (التلميح):

«التلميح» يقصد به أن يلمح الشاعر إلى قصة معلومة أو مثل سائر أو شعر مشهور كقول الشاعر:

فوالله ما أدري أأحلام نائم ... المَّتْ بنا أم كان في الركب يوشع

وهو إشارة إلى قصة يوشع بن نون عليه السلام، الذي قاتل الجبارين، ولما كان يخاف انصرام يوم الجمعة الذي كان فيه القتال ومجيء يوم السبت الذي لا يقاتل فيه، لأنه لا يحل له ذلك، دعا الله تعالىٰ فاعاد له الشمس حتى اتىٰ على آخرهم وقتلهم جميعاً. وقد أشار الشاعر إلى هذه القصة وكذا بيت

الكوثرية:

لو لم تأمر بالصبر وكظم الغيظ... الخ.

فإنه أشار إلى أن رسول الله ﷺ أمر الإمام علياً عليه السلام بالصبر وكضم الغيظ حينما يغتصب حقه في الخلافة وغيرها.

* * *

٤٨ ـ مَـا نَـالَ الأَمْـرَ أَخُـوتَيْـمٍ وَتَنَـاوَلَـهُ عَنْـهُ حَبْتَـرُ

شرح المفردات:

الأمر: هنا بمعنى الخلافة.

أخوتيم: هو أبو بكر لأنه من تيم بن مرة.

حبتر: الثعلب المعروف بدهائه ومكره وهنا المقصود هو عمر بن الخطاب.

شرح البيت:

يقول الشاعر: لو ان الإمام عليه السلام لم يؤمر من قبل الرسول صلى الله عليه وآله عن الله تبارك وتعالىٰ بالصبر وتحمل الأذىٰ، لكان عليه السلام قد خرج بسيفه مطالباً بحقه وحق الأمة في ان يقودها إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد.

الشاهد البلاغي: «الوصل = الموافقة»

مر معنا في شاهد البيت السابع الكلام عن الوصل، وذكرنا ان الوصل هو عطف جملة على أُخرىٰ بالواو، وإذا سألنا لماذا يكون الوصل متحققاً بالواو دون ما سواه رغم أن حروف العطف كثيرة؟ فالجواب أن الواو أداة يحتاج العطف بها إلى دقة في فهم اللغة والتعابير وإدراك الكلام، لأن الواو حرف عطف تخفىٰ الحاجة إليه، بخلاف بقية أدوات العطف، بسبب أن بقية أدوات العطف تفيد مع التشريك الذي يفيده الواو كذلك معاني مضافة. وبأمثلة موضحة نقول:

في قولك: «جاء علي وأحمد»، فإنك قصدت بالواو تشريك أحمد مع علي في الحكم وإذا قلت: «جاء علي فأحمد» فإنك أردت ترتيباً وتعقيباً.

وإذا قلت: «جاء علي ثم أحمد» فإنك أردت ترتيباً في المجيء بين أحمد وعلي وأفدت تراخياً، أي: جاء أحمد بعد علي بعد مدة من الزمن لا معاً. ولا بد من وجود جامع بين الجملتين لكي تعطف أحداهما على الأُخرىٰ بالواو، سواء أكان هذا الجامع هو الموافقة كما تقول أحمد يأكل ويشرب، أو المضادّة كقولك: زيد يستيقظ وينام. فإن الذهن يتصوّر الضدّ مع الضد.

وبيت الكوثرية:

مـــا نـــال الأمـــر اخـــوتيـــم وتنـــاولـــه عنـــه.... الـــخ.

فإنه قصد التشريك بالحكم بالواو، ويلاحظ ان الجامع بين الجملتين هو الموافقة.

* * *

٤٩ ـ لكـن أعـراض الجـاهـل مـا علقـت بـردائـك يـا جَـوْهَـرْ

شرح المفردات:

أعراض: جمع عَرْض وهو المتاع، وهو هنا متاع الدنيا وزينتها. وأعراض كذلك هو من العرض الذي يقابل الجوهر في التعابير الفلسفية والكلامية.

شرح البيت:

يقول: ان ما عرض للآخرين الذين يتعجلون الأمور، وهو الأمر الذي دفعهم لأن يغتصبوا حقوق الآخرين وينصبوا من أنفسهم قادة للناس، لم تعرض لك، وإنما كان هدفك هو الآخرة من جهة، وبناء المجتمع الإسلامي ودفع حركة الإسلام للأمام، وحتى لو أدّىٰ ذلك إلى اغتصاب حقك والجهل بمقامك. لأن هذه أعراض وأنت جوهر، وبين الاعراض والجوهر بون شاسع وهو يشبه (الفرق بين أمير المؤمنين والآخرين)

الشاهد البلاغي: «التورية ـ الترشيحية»:

تقدم في الشاهد (١٧) معنى التورية، وأنها من المحسنات البديعية المعنوية، وهي عبارة عن إطلاق لفظ له معنيان، معنىٰ قريب لا يريده الشاعر، ومعنى بعيد وهو غاية الشاعر ومراده الحقيقي.

والتورية ـ وتسمىٰ أيضاً (الإيهام) ـ تأتي على نوعين: إما مجرّدة ومرشحة.

والمجردة هي التي لا تلائم شيئاً مما يلائم المورّى، أي المعنىٰ القريب، كقوله تعالىٰ: ﴿... الرحمن على العرش استوىٰ...﴾ سورة

طه، الآية(٥). فاستوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، فانه لا يلائم الاستواء على الكرسي عادة استيلاء الله تبارك وتعالىٰ على الأمور والخلق، ولذا فقد سميت هذه التورية بالمجردة، فكأنها جردت التورية به عن معنىٰ التورية المتبادر للذهن عادة.

أما المرشحة فهي التي قرنت بما يلائم المورىٰ به كقوله تعالىٰ: ﴿**والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون**﴾ سورة الذاريات، الآية(٤٧). معناه: بقوة، ويلاحظ هنا العلاقة بين المعنيين أي اليد بمعنى الجارحة واليد بمعنى القوة وكذا بيت الكوثرية: لكن أعراض العاجل ما علقت.. الخ.

فإن الشاعر قد استعمل التورية الترشيحية، لأن الأعراض والجوهر هما مما يتلاءم معنى المورىٰ به مع المعنىٰ المقصود كما هو بيّن.

فجمال هذه التورية كذلك أنها طابقت طباق إيجاب بين (أعراض ـ وجوهر) في الوقت نفسه، مما زادت من روعة البيت.

* * *

٥٠ ـ أنت المهتم بحفظ الدين وغيرك بالدنيا يغترُ

شرح المفردات:

يغتر: الاغترار بالشيء إلانخداع به.

شرح البيت:

هذا البيت يؤكد ما ذكرناه سابقاً من كون الإمام علي عليه السلام إنما ترك الأمر (الخلافة) لسواه لأنه جوهر، واعراض الدنيا زائلة وهي في غير رضا الله، ولأنك ـ مخاطباً الإمام عليه السلام ـ كنت مهتماً بحفظ الدين من الانحراف والسقوط، وغيرك الذي تعلق بأعراض الدنيا فلأنه انخدع بها واغتر ولم يفكر بأمور الدين والشرع. وما تقتضيه مصلحة الإسلام لا مصالحه الشخصية.

الشاهد البلاغي «المسند»:

حق المسند أن يكون معرفة لا نكرة، والسبب في ذلك هو انه يجب ان يكون مفيداً للحكم عليه، لأنه هو المحكوم عليه في الكلام، وأما تعريفه فيكون إما بالاضمار أو العلمية أو الموصولية أو الإشارة أو النداء أو الإضافة.

ويؤتى بالمسند ضميراً ـ وهو محل الشاهد هنا ـ لأغراض منها:

١ ـ كون الحديث في مقام التكلم كقول الشاعر:

أنا المرءُ لا أخفىٰ على أحد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني

٢ ـ أوْ لأن مقام الغيبة لكون المسند إليه مذكوراً أو في حكم المذكور

لقرينة، كقوله تعالىٰ: ﴿إعدلوا هو أقربُ للتقوىٰ﴾ سورة المائدة، الآية(٨). أي العدل.

٣ ـ أوْ لكون الحديث في مقام الخطاب كقول الشاعر:

وأنت الذي اخلفتني ما وعدتني وأشمتَّ بي مُنْ كان فيك يلومُ

وكذا بيت الكوثرية:

أنت المتهم بحفظ الدين وغيرك.. الخ

فإنه خطاب للإمام علي عليه السلام وهو غير مشاهد وإنما هو مستحضر في القلب.

* * *

٥١ ـ أفعـالـك مـا كـانـت فيهـا إلا ذكـــرىٰ لمـــن اذكـــر

شرح المفردات:

ذكرىٰ: عبرة.

اذكر: اعتبر.

فيها: أي في الدنيا.

شرح البيت:

يقول الشاعر: إن أفعالك ـ يا أمير المؤمنين ـ ما كانت في الدين إلا عبرة لمن يريد أن يعتبر ويسلك سلوك الحق وطريق الخير والصلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، ومن أجل هذا ضحيت بكل ما لديك حتى أصبحت قدوة حسنة للأجيال من الناس فكنت بذلك قرآن الله الناطق.

الشاهد البلاغي «الإرصاد»

الإرصاد من البديع، وهو أن يذكر قبل الفاصلة من الفقرة أو القافية من البيت ما يدل عليها إذا عرف الروي مثل قوله تعالىٰ: ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾ سورة طه، الآية(٣٠).

ويقول الشاعر:

إذا لـــم تستطـــع شيئـــاً فـــدعـــه وجـــاوزه إلـــى مـــا تستطيـــع

ففي الآية الشريفة: عُلِمَتْ كلمة الغروب بقرائن الحال، وهو مثلاً كلمة (الشمس) فإنها اقتضتْ في الذهن مجيء كلمة (الغروب) بما يوافق طلوعها، وكذلك دل عليها كلمة (قبل) التي توزعت الجملة ودلت على

الآخر من خلال الأول. وفي البيت: فإن صدر البيت ومعناه دل على آخره وذلك من خلال استحضار الضد الذي دل عليه السياق فإنه مقابل عدم الاستطاعة يستحضر الذهن الاستطاعة.

وكذا بيت الكوثرية:

أفعالك ما كانت منها. . . . الخ.

فإنه دل على القافية من خلال معنى البيت، ومن خلال الاستثناء الذي يستعمل بهذه الطريقة غالباً في أساليب الناس والبلغاء، وهذا ما يسمىٰ بالارصاد في علم البديع.

وفي البيت تأكيد المدح بما يشبه الذم، فيما بعد إلا، جاء تأكيداً لما قبلها من صفات حسنة.

* * *

شرح المفردات:

الحجج: جمع حجة وهي الدليل والبرهان.

تبصرة: حجة ودليلاً.

استبصر: طلب الدليل والهدىٰ إليه.

شرح البيت:

لقد كانت أفعالك أيها الإمام وسيرتك وما حوته من البراهين والآيات ذكرىٰ للمذكرين، وتبصرة للمتبصرين، وحججاً ألزمت به المعاندين والمخاصمين والجاحدين، فإن جحدوا فإنما يجحدون آية بعد ثبوتها وحجتها.

إنك أولىٰ بالخلافة من غيرك لحجة (غدير خم)، وحديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي».

الشاهد البلاغي «الإرصاد»:

مر معنا في البيت السابق معنى الارصاد، وإذا لاحظنا بيت الشاعر هذا كذلك: حججاً ألزمت.. الخ، فإننا نرىٰ أن الشاعر استعمل كذلك هذا الفن البديعي هنا، وهو شائع في الكلام كما تقول في حق رجل: أنت كلامك أدب للمتأدبين وتوعية للواعين ونفع للمنتفعين، فإذا قلت (وعلم) عُلِمَ أنك ستقول للمتعلمين، وهذا هو الارصاد.

وكذا كان البيت قد ضمن شاهداً آخر قد مر بنا سابقاً وهو الجناس

الناقص على ما وضعناه في البيت الرابع والبيت التاسع والعشرين.

وفي البيت جناس غير تام بين «تبصرة واستبصر».

* * *

٥٣ ـ آيـــات جـــلالـــك لا تحصـــىٰ وصفـــات كمـــالـــك لا تحصـــرْ

شرح مفردات:

آيات: جمع آية وهي الدليل والبينة.

جلالك: عظمتك.

لا تحصى: لا تعد.

لا تحصر: لا تجمع.

شرح البيت:

بعد أن ذكر الشاعر بعض صفات الإمام علي عليه السلام، والرد على المعاندين والجاحدين لدلائل إمامته عليه السلام، فإنه وجد نفسه لا يمكنه الإحاطة باوصافه وكمالاته ولا يمكن التعرض إلى كل ما يدور في الإمام وحوله، فختم كلامه بهذا البيت: إن آيات كمالك لا يمكن ان تحصىٰ وصفات كمالك لا يمكن لأي شاعر حصرها لكثرتها وعظمتها.

الشاهد البلاغي: «الموازنة، الترصيع»:

«الموازنة» فنٌّ بديعي يقصد به تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية كما في قوله تعالى ﴿**ونمارق مصفوفة وزاربي مبثوثة**﴾ سورة الغاشية، الآية(١٦). فإن (مبثوثة) (ومصفوفة) متفقتان في الوزن دول التقفية.

وكذا في بيت الكوثرية:

آيات كمالك لا تحصىٰ.. الخ.

فإنه قد وازن بين ضرب البيت وقافيته، وإن اختلفت قافيتها (تحصى،

تحصر)، وهذا ما يسمىٰ بالموزانة، ألفاظ الشطرين كانت متوازنة، كذلك قافيتها، وهو ما زاد البيت عذوبة وجمالاً.

* * *

٥٤ ـ مَـنْ طـول فيـك مـدائحـه عـن أدنـىٰ واجبهـا قَصَّـرْ

شرح المفردات:

المدائح: هي قصائد المدح.

أدنىٰ: أقل.

شرح البيت:

يخاطب الشاعر الإمام عليه السلام، ويقول له: ان من يطول فيك قصائده فإنه لا شك يكون مقصراً لأنه ليس باستطاعته أن يستوفي حقك...

الشاهد البلاغي: «المسند إليه»:

مر معنا سابقاً أنَّ حق المسند إليه هو التعريف، وانه يكون بالعلمية والإشارة والموصولية.. الخ، وكل من ألفاظ هذه الأساليب له غرض يؤديه، فإذا كان التعبير بالمسند إليه بالموصولية، كالذي وما ومَنْ واللَّذَيْنَ واللذِينَ... الخ، فانه يكون لأغراض عديدة يقتضيها مقام كل حال، رغم أن الأساس فيه هو ان يعيَّن طريقاً لإحضار معناه وتلك الأغراض مثل التشويق: كما في قول الشاعر:

والـذي حـارتْ البـريـة فيـه حيـوان مستحـدثٌ مـن جمـاد

أي المعاد الجسماني.

أو لتعظيم شأن المحكوم به كقول الشاعر:

إن الـذي سمـك السمـاء بنـى لنـا بيتـاً دعـائمـه أعـزُّ وأطـولُ

ومنها الايهام.. مثل: لك جزاؤهُ.

وغيرها من الأغراض الأخرىٰ، التي يفيدها الإسناد بالموصولية.

وفي بيت الشاعر السيد رضا:

مـــن طـــول فيـــك مـــدائحـــه عـــــن أدنـــــىٰ... الـــــخ.

نرىٰ ان المسند إليه هنا هو (مَنْ)، وهو اسم موصول، ولا يراد به هنا إحضار معناه كما هو بين، بل لعله خرج إلى عرض آخر وهو (الاستغراق)، أي ان جميع الذين مدحوك وإن طالت مدائحهم فيك فهم جميعاً مقصرون تجاه حقك وعظمتك.

* * *

٥٥ ـ فـأقبـل يـا كعبـة امـالـي مـن هـدي مـديحـي مـا استيسـر

شرح مفردات:

آمالي: آمال مفردها أمل وهو الرجاء.

ما استنصر: الذي استطاع عليه.

شرح البيت:

آخر مطاف الشاعر في مدحه لأمير المؤمنين الذي يعجز عن أن يحيط الكلام به وان طال لأن صفات الإمام الكمالية والجمالية هي أعظم من أن تحاط بوصف أو بعض قول، ولكن حب الشاعر هو رصيده في قبول الإمام لنظمه، ولذا فهو يرجو من الإمام قبول هذه الأبيات ويأمل ذلك منه، لا سيما وأنه هو كعبة لآمال الشاعر في الدنيا والآخرة.

الشاهد البلاغي: «حسن الختام»:

براعة الشاعر تظهر بصورة عديدة منها باستخدام الفنون البيانية كالاستعارة والتشبية والكناية وما إليها، أو باستحدام أساليب الفصل والوصل والإطناب والايجاز وغيرها، مما هو يقع في مباحث علم البيان، وكذلك يستخدم الشاعر والأديب الوان فن البديع على اختلافها، فهي تزين الكلام وتجعله عذباً سلساً، والشاعر الجيد يهتم ببداية كلامه وتسلسل أبياته وخاتمة قصيدته، وعلى ما بيناه من خلال شرحنا للشواهد السابقة، أما بالنسبة لختام القصيدة فالحسن فيه أن يكون عذب اللفظ حسن السلك صحيح المعنىٰ بحيث تبقى لذته في الأسماع، لأنه آخر ما يبقىٰ من الكلام في ذهن السامع أو القارىء، ولذا سميت النهايات الجيدة «بحسن الختام» كما

في بيت السيد(قده) في كوثريته:

فآقبل يا كعبة آمالي من هدي.. الخ.

فإن كلماته عذبة سلسلة ليس فيها تعقيد، لا لفظي ولا معنوي، ثم إن هذا البيت أشعر السامع بختام الكلام ونهايته وهو من ممدوح الختام.

مدائح شعرية
في مدح أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام

عزيزي: القارىء

في نهاية المطاف أحببنا أن نضيف إلى أصل الكتاب بعض الأبيات التي يكثر الطلب لها كونها تزدان بمدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ويكثر انشادها في المحافل الدينية والاحتفالات والمواليد العامة، ونحن نذكر جزءاً منها هنا مما اخترناه لك أيها القارىء العزيز تيمناً ببركة ذكر مولانا الإمام علي عليه السلام، واتماماً للفائدة المرجوة من هذا الكتاب، وتسهيلاً على طلاب الأدب والمنشدين من الخطباء والمداحين وغيرهم ممن تكثر حاجتهم لهذه المدائح وامثالها.

* * *

قال العلامة آية الله الشيخ حسين نجف دام ظله مادحاً لأمير المؤمنين عليه السلام:

لا عذّب الله أمي إنها شربت حبّ الوصيّ وغذتنيه باللبنِ

وكـان لـي والـدٌ يهـوى أبـا حسـن فصـرت مـن ذي وذا أهـوى أبـا حسـنِ

***

وقـال رحمه الله في رائيته المشهورة التي تزيد على أربعة وخمسين بيتاً شعرياً مادحاً للإمام عليه السلام :

أيـا علـة الإيجـاد حـار بـك الفكـرُ وفـي فهـم معنـى ذاتـك التبـس الأمـرُ
وقـد قـال قـوم فيـك والسـر دونهـم بـأنـك ربٌّ، كيـف لـو كشـف السـرُّ

***

وقال أحدهم في مدح أمير المؤمنين عليه السلام :

يـا حبـذا دوحـة فـي الخلـد نـابتـة مـا مثلهـا نبتـتْ فـي الخلـد مـن شجـر
المصطفـى أصلهـا والفـرع فـاطمـة ثـم اللقـاح علـي سيـد البشـر
والفـاطميـان شبـلاهـا لهـا ثمـرٌ والشيعـة الـورق الملتـف بـالثمـرِ

***

وقال آخر في مدح الإمام عليّ عليه السلام :

كـل مَـنْ والـى علـيّ المـرتضـى لا يخـافَـنَّ عظيـم السيئـاتْ
حبّـه الأكبـر لـو ذُرَّ علـى سيئـات الخلـق صـارت حسنـاتْ

***

وقال أبو الطيب المتنبيّ في مدح الإمام علي عليه السلام :

وتـركـتُ مـدحـي للـوصـيِّ تعمـداً إذْ كـان نـوراً مستطيـلاً شـامـلا
وإذا استطـال الشـيء قـام بنفسـه وصفـات ضـوء الشمـس تذهـب باطـلا

***

وقال غيره في مدح الإمام عليه السلام :

أيدركني ضيمٌ وأنتَ ذخيرتي ... وأُظلمُ في الدنيا وأنت نصيري
وعارٌ على راعي الحمى وهو في الحمى ... إذا ضلَّ في البيدا عقل بَعيري
إذا متّ فادفني مجاور حيدر ... أبا شبرٍ أعني به وشبيرِ
فتىً لا يمسُّ النار من كان جاره ... ولا يخشتي من منكر ونكيرِ

***

وقال آخر:

إن كان حبي للوصيِّ ورهطه ... رفضاً كما زعم الجهول الخائض
فالله والروح الأمين وأحمد ... وجميع أملاك السماء روافضُ

***

وللعلامة الجليل آية الله الشيخ محمد حسن آل سميسم مدائح عدة منها قوله:

أبا حسنٍ واليتك اليوم راضياً ... بما أنتَ فيه ليس لي عنك معزلُ
فلو أنَّ ربي في القيامة قال لي ... دع المرتضى أو تدخل النار أدخلُ

***

وله أيضاً قوله:

ترجلنا على الهامات نسعى ... لحيدرة أمير المؤمنينا
خشينا البحر نركبه ولكنْ ... ولايتهُ لنا أضحتْ سفينا

***

وله أيضاً:

أبا حسنٍ أنت ذخري غداً ... وإن لم تكنْ انت ذخري فمنْ
ولست بذي عملٍ صالحٍ ... بلى أنا أذنب أهل الزمنْ

ولكـــنْ وكلـــتُ ذنـــوبـــي إلـــى حلـــولـــي وحبّـــك وســـط الكفـــنْ

***

وفي مدح الرسول ﷺ وابن عمه المرتضى عليه السلام قال الشاعر عبد الحسين الحويزي:

محمـــد حبّـــك فلـــكُ النجـــاة وراكبُـــهُ قَـــطُّ لـــم يغـــرَقِ
ولـــولاك لـــم تُخلـــقِ الكـــائنـــات ولـــولا ابـــن عمـــك لـــم تُخلـــقِ

***

وقريب من هذا المعنى قول الآخر:

إذا حُشـــر النـــاس يـــوم المعـــاد ولاقـــوا قبيـــح الـــذي قـــدّمـــوه
فحسبـــي الإلـــه وحسبـــي النبـــيّ وحسبـــي الـــوصـــيّ وحسبـــي بنـــوه

***

وللشافعي محمد بن إدريس اشعار كثيرة في مدح أهل البيت لاسيما هذين البيتين:

يـــا آل بيـــت رســـول الله حبكـــم فـــرضٌ مـــن الله فـــي القـــرآن أنـــزلَـــهُ
كفـــاكـــم مـــن عظيـــم الشـــأن أنكـــم مَـــنْ لـــم يُصـــلِّ عليكـــم لا صـــلاة لَـــهُ

***

وله أيضاً:

يـــا بنـــي الـــزهـــراء والنـــور الـــذي ظـــنَّ مـــوســـى أنهـــا نـــار قبـــسْ
لا أُوالـــي الـــدهـــر مـــن عـــاداكـــمُ إنـــه آخـــر سطـــرٍ مـــن عبـــسْ

***

ولأبي نواس مدائح أيضاً، منها في مدح الإمام الرضا(ع):

قيل لي أنت أشعر الناس طرّاً ... في المعاني وفي الكلام النبيهِ
لك من جوهر الكلام بديع ... يثمر الدرّ في يَدَيْ مجتنيه
فعلامَ تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعنَ فيهِ
قلت لا أهتدي لمدح إمامٍ ... كان جبريل خادماً لأبيهِ

***

وقال الناصر لدين الله العباسي وكان من اولي الفضل والعلم وله كتاب في فضائل أمير المؤمنين:

إليكم بني الزهراء حجي وعمرتي ... وأنتم إذا صلّيتُ لله قبلتي
ولولا وصاياكم تضاهرت باليرا ... ولكنْ أمرتمْ عبدكم بالتقيةِ

***

وهو القائل:

قسماً بمكة والحطيم وزمزمٍ ... والراقصات وسعيهن إلى منى
بغض الوصيّ أخو النبي علامة ... كُتبت على جبهات أولاد الزنى
من لم يوالِ في البرية حيدراً ... سيان عند الله صلّى أو زنى

***

وللأديب الشيعيّ الكبير الوزير الصاحب بن عباد قصائد كثيرة في هذا المعنى منها قوله:

أبا حسن لو كان حبّك مُدخلي ... جهنم كان الفوز عندي جحيمها
فكيف يخاف النار من كانَ موقنا ... بأنك مولاه وأنت قسيمها

***

وقال آخر في مدح أصحاب الكساء عليهم السلام:

لـــي خمســـة أطفـــي بهـــم حـــرّ الجحيـــم الحـــاطمـــةْ
المصطفـــى والمـــرتضـــى وابنـــاهمـــا وفـــاطمـــةْ

***

وأنشأ السلطان سليم العثماني مادحاً أمير المؤمنين عليه السلام :

تـــزاحـــم تيجـــان الملـــوك ببـــابـــه تـــزاحـــم هيـــم والـــرواء أمـــامهـــا
فيكثـــر عنـــد الازدحـــام استـــلامهـــا ويكثـــر عنـــد الاستـــلام ازدحـــامهـــا
إذا مـــا رأتـــه مـــن بعيـــدٍ تـــرجّلـــتْ وإنْ قيـــل لِـــمْ ذا قلـــت هـــذا نظـــامهـــا
تَـــرجّـــل مهمـــا آنســـت نـــور حيـــدرٍ وإنْ هـــي لـــم تفعـــل تـــرجـــل هـــامهـــا

***

وللأخرس البغدادي الشاعر المعروف هذهِ الأبيات في مدح الإمام الكاظم عليه السلام :

يـــا سمـــيّ الكليـــم جئتـــك أسعـــى والهـــوى مـــركبـــي وحبّـــك زادي
ليـــس تقضـــى لنـــا الحـــوائـــج إلا عنـــد بـــاب الـــرجـــاء جـــدّ الجـــوادِ

***

وقال الشاعر الخليعي :

إذا شئـــت النجـــاة فـــزرْ حسينـــاً لكـــي تلقـــى الإلـــه قـــريـــر عيـــنِ
فـــإن النـــار ليـــس تمـــس جسمـــاً عليـــه غبـــار روّار الحسيـــنِ

***

وللعلامة السيد صدرُ الدين العاملي (قدس سره) في مدح أمير المؤمنين عليه السلام :

علـــيٌّ بشطـــر صفـــاتِ الإلـــه حبيـــت وفيـــك يـــدور الفلَـــكْ

ولمّـــا أراد الإلٰـــه المثـــال لنفـــي المثيـــل لـــه مثّلَـــكْ
علـــيَّ فـــأمـــا الـــولايـــة والـ حكـــومـــة فـــي النشـــأتيـــن فَلَـــكْ
قليـــلٌ بـــوصفـــك انـــي أقـــولُ بطـــوع يمينـــك دورُ الفَلَـــكْ
فلـــولا الغلـــوّ لكنـــتُ أقـــول جميـــع صفـــات المهيمـــن لَـــكْ
فمـــن عـــالـــم الـــذرّ قبـــل الـــوجـــود بقـــول: بلـــى الله قـــد أهّلـــكْ
وقـــد كنـــتَ علّـــة خيـــر الـــورى مـــن الجـــنّ والإنـــس حتـــى المَلَـــكْ
وعلَّمـــتَ جبـــريـــل ردّ الجـــواب ولـــولاك فـــي بحـــر تَيْـــهٍ هَلَـــكْ

***

وللشاعر أبي الحبّ الكربلائي في مدح أبي الفضل العباس عليه السلام قوله:

أبـــوك كـــان لجـــدي كـــونـــك لـــي كـــلا كمـــا قصـــب العليـــاء حـــاويهـــا
أبـوك ساقي الـورى في الحشر كوثره وأنـت أطفـالنـا فـي الطـفّ سـاقيهـا

***

فهرست الشواهد البلاغية

الموضوع ..... الصفحة
١ ـ حسن الإبتداء ٥٧
٢ ـ الاقتباس ٥٩
٣ ـ التشبيه ٦١
٤ ـ الجناس ٦١
٥ ـ الإستعارة ٦٣
٦ ـ الإستعارة التحقيقية ٦٥
٧ ـ الوصل ٦٩
٨ ـ كمال الفصل ـ كمال الانقطاع ٧١
٩ ـ الإيجاز ٧٣
١٠ ـ النداء ـ الإستغاثة ٧٥
١١ ـ المقابلة ٧٧
١٢ ـ الخبر ٧٩
١٣ ـ الأمر ـ الضعف والخشوع ٨١

١٤ ـ الاطنـاب ٨٣
١٥ ـ الجناس الناقص ٨٥
١٦ ـ الإكتفـاء ٨٧
١٧ ـ التوريـة ٨٩
١٨ ـ الجناس ـ المشابهة، الإشتقاق ٩١
١٩ ـ الترجيّ ٩٣
٢٠ ـ الأمر ـ الالتماس ٩٥
٢١ ـ الجمـع ٩٧
٢٢ ـ ردّ العجز على الصدر ٩٩
٢٣ ـ الترصيـع ١٠١
٢٤ ـ الأمر ـ النصح والإرشاد ١٠٣
٢٥ ـ الجناس المضارع ١٠٥
٢٦ ـ التخلـص ١٠٨
٢٧ ـ التشبيه البليغ ١٠٩
٢٨ ـ الفصل ـ شبه كمال الاتصال ١١١
٢٩ ـ الجناس اللاّحق ١١٣
٣٠ ـ طباق الإيجاب ١١٥
٣١ ـ الإعتراض ١١٧
٣٢ ـ الإستفهام ـ الإنكار ١١٩
٣٣ ـ النداء ـ الزجر ١٢١
٣٤ ـ المجاز اللغويّ ١٢٣
٣٥ ـ الأمر ـ الإيجاب والإلتزام ١٢٦
٣٦ ـ إئتلاف اللفظ مع المعنىٰ ١٢٨

٣٧ ـ طباق الإيجاب ١٣٠
٣٨ ـ تشابه الأطراف ١٣٣
٣٩ ـ التشبيه الضمني ١٣٥
٤٠ ـ التعجب ـ التحقير ١٣٧
٤١ ـ الاستفهام ـ التعظيم ١٣٩
٤٢ ـ المبالغة ١٤١
٤٣ ـ السلب والإيجاب ١٤٤
٤٤ ـ المجاز العقليّ ١٤٦
٤٥ ـ التسميط ١٤٨
٤٦ ـ الأمر ـ التمنيّ ١٥٠
٤٧ ـ التلميح ١٥٢
٤٨ ـ الوصل ـ الموافقة ١٥٤
٤٩ ـ التورية ـ الترشيحية ١٥٦
٥٠ ـ المسنـد ١٥٨
٥١ ـ الإرصـاد ١٦٠
٥٢ ـ الإرصاد، الجناس الناقص ١٦٢
٥٣ ـ الموازنة، الترصيع ١٦٤
٥٤ ـ المسند إليه ١٦٦
٥٥ ـ حُسن الختام ١٦٨

فهرست المواضيع

الموضوع ..... الصفحة
١ ـ الإهـداء ٥
٢ ـ المقـدمـة ٧
٣ ـ الشاعر في سطور ٩
٤ ـ القصيدة الكوثرية ١٦
٥ ـ مختصر فنون البلاغة ٢١
٦ ـ الكوثريـة ٤٣
٧ ـ شرح القصيدة الكوثرية ٤٩
٨ ـ مدائح شعرية في مدح أمير المؤمنين وأهل البيت(عليهم السلام) . ٦٤
٩ ـ فهرست الشواهد البلاغية ١٧١
١٠ ـ الفهرست .....

دار البيان العربي

الرويس - خلف ستر محفوظ وحجازي - بناية محمد الزين
ت ٨٢٤١٤٢ - ٨/ ٧/ ٨٢٣٥٢٦ - ٨٢٣٠٨٩ ص. ب ٩٧/ ٢٥ و٥٧٨٩/ ١١٣ بيروت لبنان